41 سلسلة الدروس الثقافيّة

قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

مركز نون
للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية
www.almaaref.org
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

قوا
أنفسكم وأهليكم

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٥٣/٢٤ . ٢٥/٣٢٧

الكتاب:	**قوا أنفسكم وأهليكم**
تأليف:	**مركز نون للتأليف والترجمة**
نشر:	**جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة**

الطبعة الأولى – 2013 م – 1434 هـ

قوا
أنفسكم وأهليكم

مركز نون مرجي للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

في زمن يشــعر فيه المرء أحياناً بالتوبة والطهر، ويتلمّس نفســه الخيّرة الذاهبة تعــود إليه في بعض الأحيان، ولكنّها لا تلبث أن تهــرب، ويحاول أن يتشبّث بها، ولكن لا ينجح .

أحيانــاً يطلع علينا نور الإيمــان، وأحياناً يشملنا الإنكار من يمين ويسار، وكأنّ في الواحد منّا روحين، روح طيبة وروح خبيثة أيضاً،أحياناً يشعر بروحه تتعذّب، وأحياناً يشعر بها ترقى وتسمو وتكاد تطير، حتى لكأنّها النسمة أو الضياء .

هل هو الضياع؟ أم الهروب من النفس الشريرة إلى ضجّة الحياة؟ أو أنّه الهروب من ضجة الحياة إلى هذه النفس الشريرة؟ وماذا عن النفس الطيبة الخيرة؟ ألا يمكن العــودة إليها؟ أم إنّها تدمّــرت بفعل المجتمع الميكانيكي وثــورة العصر التكنولوجي الباهــر؟ وإذا كانت قد تدمّرت، ألا يمكن جمــع أشلائها من جديد؟ يمكن من خلال معجزة، والمعجزة اليوم يصنعها الإيمان.

والمعجزة التي يصنعها الإيمان حقاً ، تتمثّل في بناء الإنسان والمجتمع بناءً سوياً متوازناً ، بعيداً عن استبداد نزوات المال أو السلطان أو الجسد .

إنّــه الإيمــان الذي يفتح النفس والــروح والوجدان، ويزيد الإنســان اتصالاً بالعوالم الكبرى فيما وراء الطبيعة، كما يزيده انعزالاً عن الرغبات الصغيرة من مطالب الحياة اليوميــة، ليزداد اندماجــاً فيما هو أعظم وأسمى وأخلــد؛ إذ لا يمكن أن يعيش الإنسان في عالم المادة وحده، ولا معنى لإنسانيّته إذا أهمل عالم الروح والعاطفة والوجدان ...

إنّــه الإيمان بالقــوة العظمى المسيطرة على الكون والمسيّــرة له والقائمة عليه.

وأجمل من الإيمان بهذه القوة الجليلة الخضوع لها والاطمئنان إليها، وهذا هو الرضى الذي يتشعّب إلى قوّة وشجاعة وصبر وصدق وعزيمة.

فعندما لا تهاب أحداً غير الله، تكون أقوى من كلّ الناس، وحينما تطمئنّ إلى أنّ الله هو القادر أن يطمئن نفسك وأن يشرح صدرك ويشدّ أزرك، لا يعنيك إلا أن تكون راضياً عنك دون كل الناس، وبذلك ترى طريقك بوضوح. ولا تتشتّت في مسالك الحياة المتنوّعة، كل منها يغريك ويؤذيك، وقد يكون فيه هلاكك دون أن تدري.

من هنا نقول: إنّه لا سبيل لتحقيق الرضا الإهي إلاّ بصلاح النفس الإنسانيّة، والذي هو مقدّمة لصلاح الأسرة، وبناء المجتمع الصّالح.

وصلاح النفس يتطلّب التزاماً قلبيّاً وسلوكيّاً بالنهج الذي رسمته الشريعة الإسلاميّة، فوصول الإنسان إلى الكمال المنشود والقريب من الكمال المطلق لا يكون إلاّ بهذا الالتزام الواعي والمدرك لأهداف الرسالات السماويّة، والتي على رأسها هداية البشريّة، عبر إخراجها من غيّها وظلمات الشهوات، والأهواء، إلى صلاحها وأنوار الهداية والإيمان.

هذا الالتزام كفيل بإنشاء المجتمع الإسلامي، الذي أراده رسول الإنسانيّة محمّد ﷺ، أراد مجتمعاً إسلاميّاً قويّاً، متماسكاً وقويّاً، ومتراحماً، لا تهزّه عواصف الشرك والكفر، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

إنّ هدف الأنبياء عبر التّاريخ، كان دائماً بناء المجتمع الصّالح والقويّ والمتين والقريب من الله تعالى، وذلك لا يكون إلاّ ببناء الفرد المؤمن الحائز على رضا الله وتوفيقه.

وهذا الكتاب **قوا أنفسكم وأهليكم**... هو جزء من سلسلة من الإصدارات الثقافية والتربوية التي تعالج العديد من القضايا التربوية والاجتماعية الهامة.

(1) الفتح،29.

1

حرمة النفوس والأعراض

مفاهيم محورية:

- حرمة القتل وآثاره.
- عقوبة قتل العمد العذاب الأبدي.
- حرمة الأعراض والأموال.
- حرمة إفشاء أسرار الآخرين.

تصدير الموضوع:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ اللّه حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظنّ به ظنّ السّوء**».[1]

مقدمة:

حرمة النفس والعرض والمال من الأمور التي شدّد الدين الإسلامي عليها كثيراً، واعتبر أنّ الاعتداء عليها من المحرّمات المؤكّدة ومن الذنوب الكبيرة التي يستحق مرتكبها عقوبة دنيوية وأخرى أخروية. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[2]، حيث تتضمّن نهياً عن قتل النفس المحترمة إلا بالحق أي إلا أن يكون قتلاً بالحق، بأن يستحقّ ذلك لقود أو ردّة أو لغير ذلك من الأسباب الشرعية. ولعل في توصيف النفس بقوله: حرّم الله من غير تقييد إشارة إلى حرمة قتل النفس في جميع الشرائع السماوية فيكون من الشرائع العامة.

فإذا تسلّط الأشرار على الأنفس والأعراض والأموال، هُتكت الحرمات والمقدّسات، وعمّ فساد الأخلاق، وضعفت العلاقات الاجتماعية، وتفكّك كيان الأسرة التي هي نقطة البدء في إصلاح الجيل الناشئ والحفاظ على سلامته الروحية، وحينئذٍ سيفتقد الأمان والاستقرار والطمأنينة. ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**حرّم الله قتل**

---

(1) بحار الأنوار، ج72، ص201.

(2) الإسراء، 33.

النفس لعلّة فساد الخلق في تحليله لو أُحلّ وفنائهم وفساد التدبير»[1].

1 - حرمة القتل وآثاره:

إنّ حرمة قتل النفس والاعتداء عليها من الأمور الواضحة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3].

اعتبر القرآن الكريم قتل النفس الواحدة قتلاً للناس جميعاً، إلا أن يكون القتل عقاباً لقتل مثله أو عقاباً لجريمةالإفساد في الأرض. ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قال: «**هو واد في جهنم لو قتل الناس جميعاً كان فيه، ولو قتل نفساً واحدة كان فيه**»[4].

وقد قرّرت الآية الثانيةأربع عقوبات أخروية لمرتكب القتل العمدي، وعقوبة أخرى دنيوية هي القصاص، والعقوبات الأخروية هي:

- الخلود والبقاء الأبدي في نار جهنم، حيث تقول الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾.
- إحاطة غضب الله وسخطه بالقاتل: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...﴾.
- الحرمان من رحمة الله: ﴿وَلَعَنَهُ﴾.
- العذاب العظيم الذي ينتظره يوم القيامة: ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

والملاحظ هنا أنّ العقاب الأخروي الذي خصّصه الله للقاتل في حالة العمد، هو أشد أنواع العذاب والعقاب بحيث لم يذكر القرآن عقاباً أشدّ منه لذنب آخر.

---

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 29، ص 14.

(2) المائدة، 32.

(3) النساء، 93.

(4) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 29، ص 14.

أما العقاب الدنيوي فقد وردت تفاصيله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

2 - عقوبة قتل العمد العذاب الأبدي:

يرد سؤال في هذا المجال، وهو أنّ الخلود في العذاب قد ورد بالنسبة إلى من يموت كافراً، بينما قد يكون مرتكب جريمة القتل العمد مؤمناً، كما يحتمل أن يندم على ما ارتكبه من إثم ويتوب عن ذلك في الدنيا، ويسعى إلى تعويض وتلافي ما حصل بسبب جريمته، فكيف إذن يستحق مثل هذا الإنسان عذاباً أبدياً وعقاباً يخلد فيه؟

إن جواب هذا السؤال يشتمل على حالتين هما:

- قد يكون المراد بقتل المؤمن - الوارد في الآية موضوع البحث - هو القتل بسبب إيمان الشخص، أي استباحة دم المؤمن، وواضح من هذا إن الذي يعمد إلى ارتكاب جريمة قتل كهذه إنّما هو كافر عديم الإيمان، وإلا كيف يمكن لمؤمن أن يستبيح دم أخيه المؤمن، وبناءً على هذا يستحقّ القاتل الخلود في النار ويستحقّ العذاب والعقاب المؤبّد.
- كما يحتمل أن يموت مرتكب جريمة القتل العمد مسلوب الإيمان بسبب تعمدّه قتل إنسان مؤمن بريء، فلا يحظى بفرصة للتوبة عن جريمته، فينال في الآخرة العذاب العظيم المؤبّد.

(1) البقرة، 178 - 179.

3 - حرمة الأعراض والأموال:

وردفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منى في حجّة الوداع: «**أيّ يوم أعظم حرمة؟ قال الناس: هذا اليوم. قال: فأيّ شهر؟ قال الناس: هذا. قال: وأيّ بلد أعظم حرمة؟ قال الناس: بلدنا هذا. قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربّكم، فيسألكم عن أعمالكم**»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كفّ نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة**»[2].

أي من كفّ نفسه عن هتك عرضهم بالغيبة، والبهتان، والشتم، وكشف عيوبهم، وأمثال ذلك.

وبالنسبة لحرمة الأموال فقد منحت الشريعة الإسلاميّة الإنسان مجموعة مهمّة من الحقوق الّتي تنظّم علاقات الناس بعضهم ببعض فأعطتهم حقّ التملّك، وحقّ السلطنة على الأموال والممتلكات، الّذي يترتّب عليه جواز سائر التصرّفات المحلّلة في كلّ ما يملكه.

واتفقت كلمة الفقهاء على تسلّط المالك على ماله بنحو كامل شامل، فله أن يتصرّف كيف يشاء، بالنسبة إلى أنحاء التصرّفات المحلّلة ضمن الحدود الشرعيّة، فله الحقّ في بيعه وإهدائه وإيجاره وأكله وغير ذلك من التصرّفات الّتي لم يثبت من الشريعة ردع عنها. فالمالك سلطان في ماله، له الحقّ التامّ في مطلق التصرّفات، ولا أحد يمنعه عنه، أو يقف بوجهه في تحديد هذا السلطان، ولا أحد يشاركه فيه، بدون إذنه؛ بحيث لوكُفّن الميّتُ بكفنٍ مغصوبٍ فالشارعُ يعطي الصلاحيةَ للمالك -والحالُ هذهِ- في نبش الأرض وأخذ قماشه، ولا يجب عليه قبول القيمة.

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج7، ص273، ح22.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص305، ح14.

قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فدلّت الآيتان على عدم جواز أكل أموال الناس إلّا من خلال طرق خاصّة مشروعة، تنبني على رضا الطرفين، وجعل حرمته كحرمة قتل الأنفس، وكأنّ هذا القول يتوافق مع ما هو متداول بين الفقهاء: «**حرمة مال المسلم كحرمة دمه**»[3] وكأنّه يريد القول: إنّ عدم جواز أكل أموال الناس وحرمته متفرّع عن كونهم مسلّطين عليها.

4 - حرمة إفشاء أسرار الآخرين:

نجد في الروايات الإسلامية تعبيرات مختلفة وكثيرة فيما يتعلّق بحفظ السر وضرورة الالتزام بعدم إفشائه وإذاعته ممّا يدلّ على اهتمام الإسلام بهذا الموضوع حتى أنّه قرّر أنّ أسرار الآخرين بمنزلة الأمانة لدى الشخص وإفشائها يعني الخيانة للأمانة.

ولحفظ السّر أقسام متعدّدة منها:

أ ـ حفظ أسرار الآخرين.

ب ـ حفظ أسرار النفس.

ج ـ حفظ أسرار النظام والحكومة الإسلامية.

أ- حفظ أسرار الآخرين:

ورد في العديد من الروايات ما يتعلّق بوجوب حفظ أسرار الآخرين والنهي عن إفشائها منها:

- ما ورد عن رسول اللّه ﷺ: «**إِذا حدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فِهي**

(1) النساء، 29.

(2) البقرة، 188.

(3) الشيرازي، القواعد الفقهية، ج2، ص14.

أَمانَةٌ»[1]. هذه الالتفاتة تعني أنّه لا يريد أن يسمعه آخر، فحينئذ يكون إفشاء هذا السرّ بمثابة الخيانة للأمانة.

- ونقرأ في حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ أَفشى سرًّا استودعَهُ فَقَدْ خانَ**»[2].
- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**جُمِعَ خَير الدُّنيا وَالآخِرَةِ فِي كتمانِ السِّرِّ وَمُصادَقَة الأَخيارِ وَجُمِعَ الشَّرِ فِي الاذاعَةِ وَمُواخاة الأَشرارِ**»[3].

ب- حفظ أسرار النفس:

وردت روايات عدة في حفظ أسرار النفس حيث توصي المسلمين بحفظ أسرارهم الخاصة في حياتهم الفردية، لأنّه قد تكون إذاعتها وإفشاؤها سبباً لإثارة عناصر الحسد والحقد والمنافسة غير المنصفة، وبالتالي يقع الإنسان مورد عدوان الأشخاص الذين يعيشون الحقد وضيق الأفق وتتعرّض مصالحه إلى خطر، وفيما يلي نماذج من هذه الروايات:

- روي عن الإمام علي قوله عليه السلام: «**سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِنْ أَفشَيتَهُ صِرتَ أَسِيرَهُ**»[4].
- وعنه عليه السلام: «**صَدرُ العاقِلِ صُندُوقِ سِرِّه**»[5].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ فَلا يَجرِينَ فِي غَيرِ أَوداجِكَ**»[6].
- وجاء في حديث عميق المعنى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث خصال؛ سنة من ربّه وسنّة من نبيه وسنة من وليه، فالسنّة من ربّه كتمان سرّه قَالَ اللهُ تَعالى: عالِمُ**

(1) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج5، ص237.
(2) الليثي الواسطي،علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص 446.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج71، ص178، ح17.
(4) الليثي الواسطي، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ، ص 285.
(5) السيد الرضي، نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة 6.
(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص278.

الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلى غَيبِهِ أَحَداً إلاّ مَنِ ارتَضى مِنْ رَسُول»[1]. ونقرأ في بعض الروايات حثّاً على حفظ الأسرار وعدم إذاعتها حتى لأقرب المقرّبين من الأصدقاء، لأنّه يمكن أن تتغيّر الظروف والأيّام وينقلب الصديق إلى عدو وبالتالي سوف يتحرّك على مستوى إذاعة هذه الأسرار وإفشائها.

- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تَطَّلِع صَدِيقَكَ مِنْ سِرِّكَ إلاّ عَلى ما لَو اطَّلَعتَ عَلَيهِ عَدُوَّكَ لَمْ يَضُرُّكَ فَإنَّ الصَّدِيقَ قَد يَكُونَ عَدُوّاً يَوماً ما**»[2].

ج- حفظ أسرار النظام والحكومة الإسلامية:

إنّ وجوب المحافظة على الأسرار العسكرية والسياسية وغيرها... للدولة الإسلامية، من الأمور الواضحة والبديهية، ولهذا نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتمّ بهذا الأمر غاية الاهتمام، وأوصى أصحابه بالمحافظة على هذه الأسرار، والكثير من الانتصارات التي حقّقها المسلمون على أعدائهم من المشركين واليهود وقوى الانحراف الأخرى كان بسبب الالتزام والانضباط بهذه المسألة الدقيقة، فمثلاً نقرأ في قصّة فتح مكّة أنّه لو أنّ تلك المرأة سارة كانت قد وصلت إلى مكة وأخبرت المشركين بما يُعدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من الجيوش والقوى العسكرية لفتح مكّة، لما تيسّر فتح مكة للمسلمين بتلك السهولة، ولأُريقت الكثير من الدماء من الطرفين، ولكن تأكيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على حفظ السرّ وإرساله من يعيد هذه المرأة النمّامة مكّن جيش الإسلام من الوصول إلى أسوار مكة بدون أيّة صعوبة وبسرعة فائقة حتى أنّ المشركين انبهروا وتخاذلوا لما تفاجئوا من قوة الإسلام وسرعة المبادرة وعملية المباغتة لهم واستسلموا جميعاً.

ونقرأ في الروايات الإسلامية إشارات إلى هذه المسألة أيضاً بتعبيرات عميقة المغزى، ومن ذلك:

---

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص412.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص412.

ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**الظَّفَرُ بالحَزمِ بإجالَةِ الرَّأيِ، وَالرَّأيُ بتَحصينِ الأَسرارِ**»[1]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَيَّرَ قَوماً بالإذاعَةِ فَقالَ: إذا جاءَهُم أَمرٌ مِنَ الأَمنُ أو الخَوفِ أَذاعُوا بِهِ، فَإيَّاكُم وَالإذاعَةِ**»[2].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**إن كانَ فِي يَدِكَ هذهِ شَيء فإنْ استَطَعتَ أَنْ لا تَعلَم هذه فافعَل، قالَ: وَكانَ عِندَهُ إنسان فَتَذاكَرُوا الإذاعَةَ، فَقالَ: احفَظ لِسانَكَ تُعزَّ، ولا تُمَكِّن النَّاسَ مِنْ قِيادِ رَقَبَتِكَ فَتَذِلّ**»[3].

والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام قال في بداية هذا الحديث: «**إنْ كانَ فِي يَدِكَ هذهِ شَيءٌ فَإنِ استطعت ألّا تعلَمَ هذهِ فَافعَل**»[4].

ومن هنا يتّضح أنّه إذا علم الإنسان بخبر مكتوم للآخر وانكشف له سرّ من أسراره فإنّ ذلك يعدّ أمانة لديه، فلو أذاعه فإنّه قد خان الأمانة وتسبّب في أن يقع الطرف الآخر في دوامة من المشكلات والأضرار الكبيرة، كان يؤدّي إلى أن يتعرّض إلى الخطر في شخصيته الاجتماعية ومكانته في الناس، أو يؤدّي إلى تفعيل عناصر الشر لدى الحسّاد والبخلاء وأصحاب النفوس الضيّقة، أو يطمع الأراذل والأوباش في ماله وعرضه.

وعليه فلابدّ للإنسان أن يحفظ أسراره مهما أمكن ولا يذيعها إلى الآخرين، وبعبارة أخرى: أن يجعل صدره صندوق أسراره، فلو اضطر في مورد معيّن أو اتفق له أن اطلع على سرّ من أسرار أخيه المؤمن فإنّه يجب عليه أن يسعى لحفظه ولا يرتكب الخيانة في حق أخيه المؤمن.

---

(1) السيد الرضي، نهج البلاغة، الكمات القصار، الكلمة 48.

(2) العلامة المجلسي، مرآة العقول، ج11، ص65.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص225، ح14.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص225، ح14.

2

الفتنة:
أخطارها، الفردية والاجتماعية

مفاهيم محورية:

- معنى الفتنة.
- الفتنة في القرآن.
- أهداف الفتنة:
- الشيطان عمود الفتنة.
- الأوجه العديدة للفتنة.
- ما هو واجبنا عند وقوع الفِتن؟
- الوقاية من الفتنة خير من علاجها.

تصدير الموضوع:

روي عـن رسـول الله ﷺ قوله: «**ليغشيـنّ من بعدي فتن كقطـع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل**»[1].

1 - معنى الفتنة:

الفتنــة فــي كلام العرب: الابتــلاء، والامتحــان وأصلها مأخوذ مــن قولك: فتنتُ الفضّة والذهب، أذبتهما بالنار ليتميّز الردي من الجيّد، ومن هذا قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[2] أي يحرقون بالنار.

وقال ابن الأثير: الفتنة: «الامتحــان والاختبار... وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبــار من المكروه، ثم كثــر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفــر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء»[3].

وقــد تعدّدت معاني الفتنة فهي قد تأتي بمعنى: «الاختبار، المحنة، المال، الأولاد، الكفر، اختلاف الناس بالآراء، الإحراق بالنار وغيرها...».

---

(1) المتقي الهندي، كنز العمال،ج11، ص 127.

(2) الذّاريات ، 13 .

(3) النهاية 3 ، 410.

2 - الفتنة في القرآن الكريم:

لله سنن كثيرة في خلقه، منها فتنه الناس؛ أي اختبارهم، ليعلم المؤمن من الكافر. وقد فتن الله سبحانه الذين ولدوا وعاشوا قبل نزول الوحي على النبي محمد ﷺ. والغاية - قديماً وحديثاً - هو تمييز وتحديد الصادقين في إيمانهم من الكاذبين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[1]، فلا يكفي أن يتلفّظ الإنسان بلسانه أنّه مؤمن بالله، وأنّه لا إله إلا الله. فالقول باللسان غير كاف، وقد كان إيمان بعض الناس بأفواههم دون قلوبهم يُحزن الرسول ﷺ، فجاء الرد من الله سبحانه وتعالى بأن لا يحزنك ذلك، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾[2].

فلا بدّ أن يرافق القول والنطق صدق القلب، كما لا بدّ أن يؤكّده صدق العمل؛ لهذا دائماً ما يرد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. فمسألة الإيمان وقبوله لا تعتمد على القول أو كثرة السجود، بل صدق القلب والعمل ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[3]. فهذه صفات صادقي الإيمان والمتقين؛ إذ يجب أن ينتفع المؤمن ويكسب خيراً من إيمانه في الدنيا والآخرة، فإذا لم ينتفع من إيمانه فهو إيمان وهمي، لم يصدقه ولم يؤكّده العمل، وبالتالي إيمانه هذا لن ينفعه ولن يكسبه خيراً، هذا إذا أحسنّا الظن ولم نحسبه من المنافقين.

(1) العنكبوت،1-3.

(2) المائدة، 41.

(3) البقرة، 177.

3 - أهداف الفتنة:

أ - **الاختبار**: الله سبحانه وتعالى لا يريد لنا الكفر، بل يريد لنا الإيمان والحقّ، ولكن عن بيّنة وقوة، وإصرار وتميّز، ورد في القرآن الكريم الكثير من الفتن التي تعرّض لها الأنبياء والرسل عليهم السلام، بل وفي سيرة الرسول محمد ﷺ صوّر القرآن كيف ألمّت به وبالمسلمين المحن والفتن، من قتل وتهجير ومقاطعة اقتصادية واجتماعية، وهزيمة في معركة أحد... والهدف منها جميعاً الاختبار، وتقوية إيمان المؤمن، وجعله أكثر صلابة وقوة، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1]. فهي عملية غربلة وتقوية للمسلمين؛ فالمؤمن ينجح في الاختبار، والمنافق ينهار ويفشل، فينكشف أمام الله سبحانه وتعالى وأمام نفسه وأمام المسلمين.

ب- **الانصياع التام لله**: الله سبحانه وتعالى يفتن المؤمن، لكي يجعله منصاعاً للمنهج الحقّ، حتى يصل إلى الانصياع التام، وحتى يغدو هوى نفسه متوافقاً ومتطابقاً لمنهج الله سبحانه وتعالى فلا يجد في نفسه حرجاً من اتباع الحقّ ودين الله عزّ وجلّ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2].

(1) البقرة،155-156.

(2) النساء، 65.

4 - الشيطان عمود الفتنة:

الشيطـان الرجيم أحد أعمدة الكفر، والعمـود الفقري لفتنة الإنسان، وقد ينسى الإنسـان أنّ إبليس وحزبه هو عدوّه الأول، والشيطان يسعى جاهداً إلى تحقيق هدفه الأول والأساسي، وهـو إضلال الإنسان وخداعه، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[1].

قصّـة الإنسـان وإبليس والحيـاة الدنيا والآخـرة، كلّها تتلخّص فـي كلمة واحدة وهـي الاختبار، نحن هنا في الحيـاة الدنيا في مرحلة اختبار لفتـرة زمنية محدّدة، الناجحون لهم الجنة والراسبون لهم النار.

علـى بنـي آدم أن يلتفتـوا جيّداً إلى أنّـه لا جنة بلا اختبار ونجـاح، حتى آدم وحـواء عليهما السلام مرّا باختبـار، حيث نهيا عن الأكل من الشجـرة؛ ولأنّ إبليس عدوّ لهما، بدأ يعمل عمله في فتنتهما وإغوائهما، فالذين في قلوبهم مرض، فما يلقيه الشيطـان في نفوسهم ما هـو إلا فتنة وتحويلاً لهم عن منهـج الحق والصراط المستقيـم، ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾[2].

5 - الأوجه العديدة للفتن:

الفتنـة هنا هي عملية صرف الإنسـان عن الحقّ بالقوّة، يعنـي كأن يفرض نظام جائـر علـى الناس شيئـاً لا يريدونه ولا ينسجم مـع ما يرونـه أو يعتقدونه، وفي هذه الحالـة إذا رفضوا يُعذّبهـم ويفتنهم. هذا النوع من الفتنة الـذي يُراد منه أن يحمل النـاس على تغيير معتقداتهـم وآرائهم وتصوّراتهم هي أشدّ مـن القتل، لأنّ الحرية هـي جوهر إنسانيـة الإنسان، والإنسان الـذي يُسلب حريته سـواء أكان في الاعتقاد

(1) الأعراف، 27.

(2) الحج، 53.

أو التعبيـر عن الرأي أو التصـرّف المشروع، إنّما تسلب منـه إنسانيته، فلا إنسانية بـدون حرية، ولا حرية يمكـن أن يتمتّع بها بشكل سليم ويضعهـا مواضعها إلا إنسان مستقيم يحترم إنسانيته ويقدّرها حقّ تقدير. من هنا تصبح عملية إكراه الناس على تغييـر آرائهم ومعتقداتهم وتصوّراتهم بالقـوّة وبالعنف أشدّ من قتلهم؛ لأنّها بالفعل قتل لإنسانيتهـم وقتل لحريتهم. والمصداق الواضح للفتنة في أيامنا سياسة أمريكا وأذنابها في التعامل مع من لا يخضع لسياساتها.

ولقـد عبّر الإمام علي عليه السلام عن كيفيـة نشوء الفتنة فقال: «**إنّما بدء وقوع الفتن، أهواء تُتَّبع وأحكام تُبتدع، يُخالَفُ فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال على غير دين الله. فلـو أنّ الباطـل خلُص مـن مزاج الحقّ، لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل، لانقطعت عنه ألسن المعاندين. ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومـن هذا ضغث، فيمزجـان، فهنالك يستولي الشيطان علـى أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى**»[1]. ففي يوم الفتنة تتمكّن الفتنة من عقول الناس، وتغلب على نفوسهم وأفكارهم، وتسلب منهم الرؤية والبصيرة، فيلتبس عليهم الحقّ بالباطل، ويلتبس عليهم أهل الحقّ بأهل الباطل، فلا يميّزون هؤلاء عن أولئك، ولا هذا عن ذاك، ولكـن الفتنة تفرز قلّة يعصمهـم الله تعالى منها، ويرزقهم بصيرة نافذة، فيقفون إلى جانب الحقّ، وإن قلّ أهله وروّاده، ويقارعون الباطل، وإن كثر أهله.

والفتـن علـى مرّ التاريـخ لها أوجه كثيـرة، فقد كانت أيـام «**الجمـل**» و«**صفين**» و«**النهـروان**» و«**الطـف**» أيام فتن في تاريخ الإسلام. فعند وقـوع الفتن يختلط الحقّ بالباطل.

(1) نهج البلاغة، خطب الإمام علي،ج1، ص99.

6 - ما هو واجبنا عند وقوع الفتن؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كن في الفتنة كابن اللبون؛ لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب**».

وابن اللبون عبارة عن جمل ذي سنتين، هذا الجمل لا يقوم بخدمة، لا ظهر فيركب، ليست له قوّة حمل الإنسان من بلد إلى بلد، وليس له ضرع فيحلب، إنّما الإنسان يستبقي عنده ابن اللبون ليكبر يومًا من الأيام، ويصبح ظهرًا يركبه، أو يصبح ذا ضرع يحلبه.

وليس معنى ذلك أن يعتزل الإنسان الساحة في الفتنة؛ فليس السلامة من الفتنة بالانسحاب من الساحة، وإنّما معنى ذلك أن لا يعطي الانسان من نفسه شيئاً للفتنة.

وهذا أحد وجهي القضية، والوجه الآخر العمل لمكافحة الفتنة ومقارعتها، والوقوف إلى جنب أولئك الذين يقفون في وجه الفتنة. ومن لا يكافح الفتنة يؤيّدها ويسندها لا محالة، وليس للإنسان بدّ من واحد من هذين: إمّا مكافحة الفتنة أو الاستسلام لها. ولا يصحّ ما كان يرى بعض الضعفاء من المسلمين عندما اندلعت الفتنة أنّ «**الجالس فيها خير من القائم، والنائم فيها خير من الجالس**»؛ فإنّ هؤلاء الجالسين لا محالة يقعون في شرك الفتنة، عن علم أو عن غير علم. وإذا أقبلت الفتن، انقلبت البصائر. فلم يعد يبصر الإنسان حوله شيئاً من الحقّ والباطل إلا من عصم الله، ويفقد الإنسان الرؤية.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الخبير بالفتنة: «**أيها الناس، أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن أحد ليجترئ عليها غيري**»[1].

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن الفتن فقال عليه السلام: «**إنّ الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت، يشبهن مقبلات، ويعرفن مدبرات**»، وهذه أهمّ

(1) نهج البلاغة، خطب الإمام علي،ج1، ص182.

خصوصيــة فــي الفتنة. إذا أقبلت يفقد الإنسان الرؤيــة، ويلتبس عليه الحقّ والباطل (شبهت)، فلا يميّز أيّهما الحق وأيّهما الباطل، وإذا أدبرت انتبه الانسان، وعاد إليه ما فقده من رشده ووعيه (نبهت).

7 - الوقاية من الفتنة خير من علاجها:

وللسلامة من مضلّات الفتن، جعل الله تعالى للإنسان ملاذاً يلوذ به من الفتنة، ويمكّنه من التفريق بين الحق والباطل، يمكن جمعه في الآتي:

أ- **الله تعالــى:** فــإنّ اللّه عــزّ وجلّ يعيذ عبده إذا استعاذ بــه من مضلاّت الفتن، وقد ورد فــي الدعاء: «**وأعوذ بك مــن مضلّات الفتن**»[1]، وروي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**... إِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّه شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ. ومَنْ جَعَلَه أَمَامَه، قَادَه إِلَى الْجَنَّةِ، ومَنْ جَعَلَه خَلْفَه، سَاقَه إِلَى النَّارِ وهُوَ الدَّلِيلُ، يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ**»[2].

ب - **التقــوى:** والتقــوى معاذ وفرقان لمن يتحصّن به، فاذا حصّن الإنسان نفسه فــي حدود اللّه تعالى، ولــم يتجاوز حدوده في قول أو فعــل، عصمته التقوى من الضــلال والفتنــة، وطردت عنــه الشيطان، وبصّــره اللّه تعالى بكيــد الشيطان ومكــره، فــلا يتمكّن منه، ولا يستطيع أن يكيد بــه، أو أن يمكر به؛ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعلموا أنّه من يتقّ الله، يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم**»[3]. ومن التقوى مخالفة الهوى.

فــاذا حلّت الفتنة بالإنسان ووقع في شركها، فخالف هواه، كلما تردّد بين أمرين يميــل إلى أحدهما ويرغب عــن الآخر، جعل اللّه تعالى له مــن تلك الفتنة فرجاً ومخرجاً، ورزقــه بصيرة يهتدي بها؛ روي عن الإمام الكاظم عليه السلام «**إذا حزّبك**

(1) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد، ص76.

(2) الكليني، الكافي، ج2، ص599.

(3) نهج البلاغة، خطب الإمام علي،ج2، ص112.

(مـرّ بـك) أمران، لا تدري أيهما خيـر وأصوب، فانظر أيّهمـا أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإنّ كثير الصواب في مخالفة هواك»[1].

ج- **الإخلاص والخلوص للّه تعالى**: فـإنّ الشيطـان لا سلطـان له علـى عباد اللّه «**المُخلصيـن**»، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كلّ فتنة**»[3].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج1، ص155.

(2) ص، 82-83.

(3) كنز العمال، ج3، ص24.

3

التعصّب والعناد وأثرهما على المجتمع

مفاهيم محورية:

- مفهوم التعصّب ودوافعه.
- حُبّ الذات والتعلّق الشديد بالأسلاف.
- ذم التعصّب والفرقة.
- الآثار السلبية للتعصّب والعناد.
- أسباب ومناشئ التعصّب والعناد.
- العصبيّة الممدوحة.
- طرق علاج العصبيّة.

تصدير الموضوع:

روي عـن النبي الأكرم ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إلى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّة**»[1] .

1 - مفهوم التعصّب ودوافعه:

التعصّـب من مـادّة عَصَبَ وهي في الأصل بمعنى الخيـوط العصبية والعضلية الّتي تربط بين مفاصل العظام والعضلات، ثمّ استُعملت هذه الكلمة ليُراد بها كلّ نوع من الارتباط الشديد الفكري والعملي الّذي يستبطن غالباً معنىً ومفهوماً سلبياً رغم وجود بعض العلائق الإيجابية أيضاً في مفهومها كما سيأتي تفصيله.

وبديهـي أنّ التعلّقـات غير المنطقية - بالنسبة إلـى شخص ما أو عقيدة معيّنة أو شـيء من الأشياء - تقـود الإنسان إلى اللجاجة والتقليد الأعمى بالنسبة إلى ذلك الشيء أو الشخص، وبالتالي سيكون العامل المهم في بروز أنواع النزاعات والحروب والاختلافـات المستمرة بيـن البشر. وكلّما تحـرّك الإنسان على مستـوى إزالة هذه التعصّبـات من ساحة الحياة البشرية والمجتمع الإنساني فإنّ الناس سوف يتعاملون في ما بينهم من موقع العقل والمنطق والحوار الهادئ والهادف، وبذلك تزول الكثير

(1) الأميني، الغدير،ج6،ص189.

مـن الاختلافات وأسباب النزاع ويعود الهدوء ليُخيّـم على المجتمع الإنساني ويعيش الإنسان في حركته الاجتماعية بكلّ أشكال الطمأنينة والمحبّة والأخوة.

2 - حُبّ الذّات والتعلّق الشديد بالأسلاف:

إنّ الإفـراط في حبّ الـذات يتسبّب في أن يتعلّق الإنسان بالأمـور المنسوبة إليه بشـدّة ويعتبرها جزءاً من شخصيتـه وكيانه ومن ذلك الرابطة مـع الآباء والأجداد والتقاليـد المرسومـة في مجتمعه. وإنّ هذا التعلّق الشديد يـؤدّي إلى نقل الكثير من الخرافـات والقبائـح إلى الأجيـال الأخرى بذريعة حفـظ الآداب والسنـن والرسوم الاجتماعيـة وبالتالي سيخلق حجاباً يصدّ الإنسان عن أيّة معرفـة جديدة وارتباط بالحقائـق والواقعيـات. وإنّ الدفاع الشديد عـن القبيلة والعشيـرة أحياناً يصل إلى درجـة أنّ أسوأ أفراد القبيلة وأشنع الأعراف والسنن السائدة في هذه القبيلة تتحوّل فـي نظر الأشخاص المتعصّبين إلى إيجابيـات كبيرة وامتيازات مهمة لهذه القبيلة، يجب الدفاع عنها ومناصرتها مهما كانت الأسباب والنتائج، في حين أنّ أفضل أفراد القبيلـة الأخرى وأسمى الآداب والسنن في تلك القبيلة قـد تكون هي الأسوأ والأقبح في نظر هذا الإنسان.

3 - ذم التعصّب والفرقة:

إنّ الأضرار والخسائر الكثيرة المترتّبة على هذه الرذيلة الأخلاقية قد سوّدت صفحات التاريخ البشري وواجه الأنبياء والرسل عليهم السلام بسببها مشاكل كثيرة في طريـق هداية النـاس إلـى اللّه والحقّ وسُفكت بسببها الكثير من الدماء، وتحوّلت طاقات وإمكانيات البشر الكبيرة إلى سيل مخرّب بسبب الجهل والتعصّب، ولهذا ورد الـردع عن التخلّق بهذه الصفة، والتلبّس بهـذا السلوك، فقد ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَـنْ كَانَ فِـي قَلْبِهِ حَبَّةً مِنْ خَرْدَل مِنْ عَصَبِيَّة بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

مَعَ أعراب الْجَاهِلِيَّةِ»[1]. وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تُعُصِّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رَبَقَ الإيمان مِنْ عُنُقِهِ**»[2].

4 - الآثار السلبيّة للتعصّب والعناد:

التعصّب والعناد هُما لازم وملزوم، ولهذا السبب أوردناهما تحت عنوان واحد، وقد ورد الكثير من الروايات في النهي عن التعصّب واللجاجة، منها:

ما ورد عن رسول الله ﷺ: «**إياك وَاللِّجَاجَةَ، فَإِنَّ أولها جَهْلٌ وَآخِرَهَا نَدَامَةٌ**»[3].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اَللِّجَاجُ أكثر الْأَشْيَاءِ مَضَرَّةً فِي الْعَاجِلِ والآجل**»[4].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**اَللِّجَاجُ بَذْرُ الشَّرِّ**»[5].

ومع ملاحظة هذه الروايات الشريفة يتّضح التأثير المخرّب لهاتين الرذيلتين الأخلاقيتين -التعصّب واللجاجة- في الحياة الفردية والاجتماعية للناس، بحيث إنّهما يدفعان الإنسان بعيداً عن الإيمان والإسلام ويجعلانه غريباً عن الأجواء الروحية المنفتحة على الله تعالى ويقودانه إلى الكفر والشرك والاقتداء بالشيطان وترك حبل الإيمان.

وإنّ الآثار السلبية للتعصّب والإصرار في حركة حياة الإنسان المتعصّب تتجلّى في الكثير من الموارد منها:

أ- عدم نصرة المظلوم، وذلك لأنّ الله تعالى أوجب معونة المظلوم ونصرته دون الظالم، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يعين مؤمناً**

(1) الكليني، أصول الكافي، ج 2، ص 308، باب العصبية.
(2) الكليني، أصول الكافي، ج2، ص307.
(3) بحار الأنوار،ج74، ص67.
(4) النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج10، ص23.
(5) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص38.

مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»[1].

ب- تضييع حقوق الآخرين والاعتداء عليهم، وانتشار العداوة والبغضاء بين الناس.

ج- التعصّب يعني الارتباط غير المنطقي بشخص معيّن أو عقيدة أو عادة أو عرف خاصّ كما سبقت الإشارة إليه، وهذا من شأنه أن يُسدل حجاباً سميكاً على عقل الإنسان وبصيرته يمنعه عن إدراك الحقائق وجوانب الخير والشرّ والمصلحة والمفسدة في الأمور وبالتالي يحرمه من العثور على طريق للحل والنجاة. ولهذا فهو لا يتمكّن من إدراك البديهيات وأوضح الحقائق بسبب تعصّبه وعناده.

د- إنّ العصبية والعناد بمثابة النار المحرقة الّتي من شأنها تمزيق العلائق الاجتماعية في المجتمع وتسلب منه روح الوحدة والإلفة وتنثر فيه بذور النفاق والفرقة وتقود الطاقات والقوى البنّاءة الّتي يجب أن تُصرف في سبيل إعمار المجتمع في حركته الحضارية باتجاه التضاد والصراع الذاتي فيما بينها، كما نقرأ هذا المعنى في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «**اللِّجَاجُ يُنْتِجُ الْحُرُوبَ وَيُوغِرُ الْقُلُوبَ**»[2].

هـ- التعصّب والعناد يتسبّبان في ابتعاد الأحبّة والأصدقاء عن الإنسان وتبديل الصداقة إلى عداوة وتضاد.

و- التعصّب والعناد من الأسباب والعوامل المهمّة للكفر، وانطلاقاً من هذه الحالة نجد أنّ أكثر الشعوب والأمم السالفة وبسبب التعصّب والعناد كانت تسير في خطّ الباطل والكفر برسالات السماء والامتناع عن قبول الحقّ بدافع من

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص292.

(2) أصول الكافي، ج 2، ص 308.

المحافظة على السنن البالية والتقاليد الزائفة.

ز- التعصّب والعناء، يُفقدان الشخص توازنه في اختيار الأمور ويجرّانه إلى مواقع لا يرغب الولوج فيها، ولهذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**لاَ مَرْكَبَ اَجْمَحَ مِنَ اللِّجاجِ**»[1].

ح- إنّ التعصّب واللجاجة يخرّبان حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، لأنّهما يورثانه في حياته الدنيا العداوة والفرقة والأخطاء الكثيرة وفقدان الراحة والهدوء والاستقرار، وفي الآخرة يتسبّبان في ابتعاده عن رحمة الله، وهذا هو ما ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اَللِّجَاجُ أكثر الْاَشْيَاءِ مَضَرَّةً فِي الْعَاجِلِ والآجل**».[2]

5 - أسباب ومناشئ التعصّب والعناد:

هناك عومل وأسباب عديدة يمكن أن تدفع الإنسان باتجاه التعصّب واللجاج نختصرها بكلمة واحدة وهي الأنانية وحبّ الذات، لأنّ الشخص الأناني يحبّ كلّ ما لديه من العلائق والأمور أن تُنسب إليه وترتبط به حتّى على المستوى الأصول والتقاليد الخاطئة والعقائد الزائفة، ولذلك قد يظهر عصبية شديدة لما عليه قومه وقبيلته من التقاليد والعقائد ويقبل ما ورثه من آبائه من السنن والمعارف من دون أيّ تحرّك فكري واستقلال عقلي.

6 - العصبية الممدوحة:

لا ريب أنّ العصبية الذميمة التي نهى الإسلام عنها هي: التناصر على الباطل، والتعاون على الظلم، والتفاخر بالقيم الجاهلية، أمّا التعصّب للحق، والدفاع عنه...، والتناصر على تحقيق المصالح الإسلامية العامة، كالدفاع عن الدين،

(1) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص540.

(2) غرر الحكم، ص463.

وحماية الوطن، وصيانة كرامات المسلمين وحماية أعراضهم وأنفسهم وأموالهم، فهو التعصّب المحمود الباعث على توحيد الأهداف والجهود، وتحقيق العِزّة والمنعة للمسلمين، سُئل ﷺ: ما العصبية؟ قال: «**أن تُعين قومك على الظلم**»[1]، وعندما سُئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن معنى العصبية قال: «**الْعَصَبِيّةُ الَّتِي يَأْثَمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أن يَرى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْراً مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخرين! وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أن يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ**»[2]. وطبقاً لهذا الحديث فإنّ العصبية الّتي يعيشها أفراد القوم أو القبيلة مادامت تسير في خطّ الخير والصلاح فهي إيجابية وممدوحة، لأنّ هذه العصبية والارتباط الشديد لا يدفع الإنسان إلى ارتكاب الممنوعات ولا يقوده نحو الخطيئة بل يُعمّق فيه أواصر المحبّة ويؤكّد وشائج المودّة بين الأفراد، أما التعصّب المذموم فهو أن يسحق العدالة.

ونقرأ في نهج البلاغة في الخطبة القاصعة لأمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى التعصّب المذموم حيث يقول: «**فأطفئوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وأحقاد الْجَاهِلِيَّةِ، فإنّما تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِوَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ**»[3]. ويقول الإمام عليه السلام في مكان آخر تبياناً للتعصُّب الممدوح: «**فَإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأفعال، وَمَحَاسِنِ الأمور الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُوَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ... فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ، مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالاْخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ**»[4].

(1) البيهقي، السنن الكبرى، ج10، ص234.

(2) أصول الكافي، ج 2، ص 308، باب العصبيّة، ح 7.

(3) نهج البلاغة، الخطبة 192 من الفقرة 22 إلى 23.

(4) نهج البلاغة، الخطبة 192، الفقرة 76 إلى 79.

7 - طرق علاج العصبية:

أ- **إزالة الدوافع من النفس:** إنّ الطريق لعلاج هذه الرذيلة الأخلاقية يتطلّب في المرتبة الأولى الالتفات إلى الدوافع والجذور والسعي لإزالتها من واقع الإنسان وباطنه، ومن هذه الدوافع: الأنانية والإفراط في حبّ الذات كما أسلفنا، وانخفاض المستوى الثقافي، وضعف الشخصية، والعزلة الاجتماعية والفكرية، وأمثال ذلك... ولابدّ لإزالة هذه الصفة الرذيلة وتطهير النفس منها من الصعود بالمستوى العلمي والثقافي للأفراد والسعي للتعرّف على الأقوام والشعوب الأخرى والاطلاع على أفكارهم وعقائدهم، وكذلك الحدّ من حبّ الذات في شخصية الإنسان وقلع الميول والاتجاهات المضرة في نفسه والّتي تورثه التعصّب واللجاجة والتقليد الأعمى.

ب- **الالتفات إلى آثارها السلبية:** وكذلك يجب الالتفات إلى الآثار السلبية للعصبيّة من أجل إصلاح النفس وتهذيبها وتطهير القلب من هذه الشوائب والأدران المحيطة بها، وكذلك من شأنه أن يمزّق العلائق الاجتماعية بين أفراد المجتمع ويبذر بذور النفاق والاختلاف والفرقة بينهم، ويُفضي إلى الشقاء والتعاسة ويورث الإنسان التعب والدرك وحتّى أنه قد يؤدّي به إلى الانزلاق في دوّامة من المشاكل لم يكن يتوقّعها أبداً. فمعرفة هذه الأمور من شأنها أن تقلّل من شدّة العصبية والعناد وتساعد الإنسان في النزول عن مركب الغرور والتعصّب والتقليد الأعمى.

ج- **التسليم للحق:** النقطة المقابلة للتعصّب واللجاجة والتقليد الأعمى هو التسليم للحقّ الّذي يُعدّ من الفضائل الأخلاقية المهمة، أي أنّ على الإنسان أن يقبل بالحقّ من أيّ شخص كان حتّى لو رآه أبعد الناس وأصغرهم فيسلّم له. وهذه الفضيلة الأخلاقية هي السبب في التقدّم العلمي والتطوّر الحضاري للبشرية وتورث الإنسان الحصانة من الوقوع في الضلالة وسلوك طريق الباطل.

ولا يتحلّى بهذه الصفة الأخلاقية الحميدة إلاّ أهل الإيمان والصالحون من الناس والّذين يبتعدون عن الإفراط في حبّ الذات والتعلّقات القومية الذميمة ويجتنبون الميول الذاتية. فإنّ التسليم للحقّ هو من علامات الإيمان، وسلامة الفكر والروح، وارتفاع المستوى الثقافي لدى الإنسان، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الخصلة الحميدة مخاطباً النبي الأكرم ﷺ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[2].

وطبعاً فإنّ التسليم بعنوان فضيلة أخلاقية يُستعمل على معنيين:

- أحدهما: للحقّ والّذي يقع في النقطة المقابلة للتعصّب واللجاجة والتقليد الأعمى.
- والآخر: هو التسليم للقضاء والقدر الإلهيين فيعيش الإنسان حالة الشكر والرضا بما قسم الله ولا يعيش السخط والكفران.

(1) النساء، 65.

(2) الأحزاب، 36.

4

آفة سوء الظنّ
وآثارها الاجتماعية

مفاهيم محورية:

- تعريف سوء الظن وحسن الظن.
- سوء الظن في القرآن الكريم.
- مراتب سوء الظن.
- الآثار السلبيّة لسوء الظن.
- التخلّص من سوء الظن بحسن الظن.

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1]. ونقرأ في نهج البلاغة قول الإمام علي عليه السلام: «**لا تَظُنَنَّ بِكَلِمَة خَرَجَتْ مِنْ أَحَد سُوءً، وأَنتَ تَجِدُ لَها فِي الخَيرِ مُحتَمَلاً مَحمَلاً**»[2].

مقدّمة:

سوء الظن خصلة من أشنع الرذائل الأخلاقية، التي تؤدّي إلى الفرقة بين العوائل، وتمزّق المجاميع البشرية والإنسانية. وأوّل ثمرة سلبية لسوء الظن هي زوال الثقة بين الناس، وعندما تزول الثقة، فإنّ عملية التعاون والتكاتف في حركة التفاعل الاجتماعي ستكون عسيرة للغاية، ومع زوال التعاون والتكاتف في المجتمع البشري فسوف يتبدّل هذا المجتمع إلى جحيم ومحرقة، يعيش فيه الأفراد حالة الغربة والوحدة من الأفراد الآخرين، ويتحرّكون في تعاملهم من موقع الريبة والتشكيك والتآمر ضدّ الآخر. ولهذا السبب، فإنّ الإسلام، ولأجل توكيد ظاهرة الاعتماد المتقابل بين الأفراد والأمم، اهتمّ بهذه المسألة اهتماماً بالغاً؛ فنهى بشدة عن سوء الظن، ومنع الأسباب التي تورث سوء الظن لدى الأفراد، وعلى العكس من ذلك،

---

(1) الحجرات، 12.

(2) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ح360.

فإنّه مدح وأيّـد بشدّة حسن الظن الذي يفضي إلى زيادة المحبّة والاعتماد المتقابل والثقـة بالطرف الآخر؛روي عن النبي الأكـرم ﷺ قوله: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ مِـنَ المُسلِمِ دَمَهُ وَمالَهُ وَعِرضَهُ وَأَنَّ يَظُنَّ بِهِ السُّوءَ**»[1].

1 - تعريف سوء الظن وحسن الظن:

عندما ترد هاتان المفردتان، ويراد بهما سوء الظن أو حسنه بالنسبة إلى الناس، فَإنّ لهما مفهوماً واضحاً، فالمفهوم من سوء الظن هو أنّه كلّما صدر من شخص فعل معيّن يحتمل الوجهيـن: الصحيح والسقيم، فنحمله علـى المحمل السقيم، ونفسّره بالتفسير السيّء، مثلاً عندما يرى الشخص رجلاً مع امرأة غريبة، فيتصوّر أنّ هذه المرأة أجنبية، وأنّ هذا الرجل ينوي في قلبه نيّة سوء تجاهها، ويريد ارتكاب المنكر معهـا، في حين أنّ حسن الظن يقود الإنسان إلى القول بأنّ هذه المرأة هي زوجته أو أحد محارمه حتماً. ومن هنا يتّضح أنّ دائرة حسن الظن وسوء الظن واسعة جدّاً، ولا تنحصر في ممارسـة العبادات فقط، بل تستوعب في مصاديقها ومواردها المسائل الاجتماعية والأخلاقية والسياسية أيضاً.

وعندمـا تستعمل هاتـان المفردتان بالنسبـة إلى الله تعالى، فالمـراد من حسن الظـن بـالله هو أن يثـق الإنسان بالوعد الإلهي فـي مورد الرزق أو العنايـة بالعبد أو نصـرة المؤمنيـن والمجاهدين، أو الوعـد بالمغفرة والتوبة علـى المذنبين، وأمثال ذلـك. ومعنـى سـوء الظن بالله تعالى هـو أنّ الإنسـان عندما يجد نفسـه في زحمة المشـكلات والمصاعب، فإنّه قـد يعيش عدم الثقة بالوعد الإلهـي، وعندما يقع في بعضـ الابتلاءات العسيـرة وفي المسائل الماليـة وغيرها، فإنّه قـد ينسى وعد الله تعالـى للصابرين، والذيـن يتحرّكون في خـطّ الاستقامة والانضبـاط والمسؤولية، ويتحـرّك عندها في خطّ المعصية والإثم؛ روي عـن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**لا إيمانَ مَعَ سُوءِ ظَنٍّ**»[2].

(1) الفيض الكاشاني،المحجة البيضاء، ج5، ص268.

(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ،ص536.

2 - سوء الظن في القرآن الكريم:

لقد تحدّثت عدّة آيات كريمة عن هذا المرض الأخلاقي الفتّاك في الأفراد والمجتمعات، نقتصر منها على آيتين:

الآية الأولى: سوء الظن بالناس: تستعرض الحديث عن سوء الظن، وتنهى المؤمنين بصراحة وبشدة عن سوء الظن في تعاملهم الاجتماعي فيما بينهم، وتشير إلى أنّه قد يكون بمثابة المقدمة إلى التجسّس والغيبة، وتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.[1]

وقد ورد في الآية التعبير «**كثيراً من الظن**» لأنّ أكثر أشكال الظن بين الناس بالنسبة إلى الطرف الآخر تقع في دائرة السوء والشر؛ لذلك ورد التعبير بقوله كثيراً.والملفت للنظر هو أنّ هذه الآية بعد النهي عن كثير من الظن، ذكرت العلّة في ذلك، وقالت بأنّ بعض الظنون هي في الحقيقة إثم وذنب، وهو إشارة إلى أنّ الظنون السيّئة قسمان: فمنها ما يطابق الواقع، ومنها ما يخالف الواقع. فما كان على خلاف الواقع يكون إثماً وذنباً، وبما أنّ الإنسان لا يعلم أيّهما المطابق للواقع وأيّهما المخالف، فيجب تجنّب الظن السيّء إطلاقاً؛ حتى لا يتورّط الإنسان في سوء الظن المخالف للواقع، وبالتالي يقع في الإثم وممارسة الخطيئة؛ روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**سُوءُ الظَّنِّ يُفسِدُ الأمور وَيَبعَثُ عَلَى الشُّرُورِ**»[2].

وبما أنّ سوء الظن بالنسبة إلى الأعمال الخاصّة للناس، يعدّ أحد أسباب التجسّس، وأحد الدوافع التي تقود الإنسان إلى أن يتجسّس على أخيه، والتجسّس بدوره يتسبّب أحياناً في الكشف عن العيوب المستورة للآخرين، وبالتالي سيكون سبباً ودافعاً للغيبة أيضاً، لذلك فانّ الآية الشريفة تتحدّث عن سوء الظن أوّلا، وفي المرحلة الثانية ذكرت التجسّس، وفي الثالثة نهت عن الغيبة.ولهذا اعتبره النبي

(1) الحجرات، 12.

(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ،ص283.

ﷺ من أكذب الكذب، فروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إيّاكُم وَالظّنُّ؛ فَإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الكِذبِ**»[1]، بل هو من أقبح الظلم كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**سُوءُ الظَّنِّ بِالمُحسِنِ شَرُّ الإثمِ وَأَقبَحُ الظُّلمِ**»[2].

الآية الثانية: سوء الظن بالله تعالى: قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3].

تتحدّث هذه الآية عن سوء الظن بالنسبة إلى ساحة الربوبية، والحقيقة المقدّسة الإلهية، فتقول: إنّ سوء الظن بالله تعالى من جانب هؤلاء، هو لأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ الوعود الإلهية للنبي الأكرم ﷺ سوف لن تتحقّق أبداً، وأنّ المسلمين مضافاً إلى عدم انتصارهم على العدو، فإنّهم لن يعودوا إلى المدينة إطلاقاً، كما كان في ظن المشركين أيضاً حيث توهّموا أنّهم سوف يهزمون رسول الله وأصحابه، لقلّة عددهم وعدم توفّر الأسلحة الكافية في أيديهم، وأنّ نجم الإسلام منذر بالزوال والأفول، في حين أنّ الله تعالى وعد المسلمين النصر الأكيد، وتحقّق لهم ذلك، بحيث إنّ المشركين لم يتجرّؤوا أبداً على الهجوم على المسلمين مع أنّ المسلمين في الحديبية وعلى مقربة من مكّة كانوا تحت يدهم، ولم يكونوا يحملون أيّ سلاح، لأنّهم كانوا قاصدين زيارة بيت الله الحرام، وهكذا ألقى الله تعالى الرعب والخوف في قلوب المشركين، إلى درجة أنّهم خضعوا ووجدوا أنفسهم ملزمين بكتابة الصلح المعروف بصلح الحديبية، ذلك الصلح الذي مهّد الطريق للانتصارات الباهرة التي نالها المسلمون فيما بعد.

والملفت للنظر في هذه الآية أنّ مسألة سوء الظن بالله تعالى كانت بمثابة القدر

(1) المحجة البيضاء، ج5، ص268.

(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص284.

(3) الفتح، 6.

المشترك بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وبيّنت هذه الآية أنّ جميع هذه الفئات والطوائف شركاء في هذا الأمر، بخلاف المؤمنين الذين يحسنون الظنّ بالله تعالى وبوعده وبرسوله الكريم، ويعلمون أنّ هذه الوعود سوف تتحقّق قطعاً، ولعلّ تحقّقها قد يتأخّر فترة من الوقت لمصالح معيّنة، ولكنها أمر حتمي في حركة عالم الوجود؛ لأنّ الله تعالى العالم بكل شيء والقادر على كل شيء لا يمكن مع هذا العلم المطلق والقدرة اللاّمتناهية أن يتخلّف في وعده.

ولا شك أنّ سوء الظن بالله تعالى يختلف كثيراً عن سوء الظن بالناس؛ لأنّ سوء الظن بالناس غالباً ما ينتهي بارتكاب الإثم أو سلوك طريق خاطئ في التعامل مع الطرف الآخر، في حين أنّ سوء الظن بالله تعالى يتسبّب في تزلزل دعائم الإيمان وأركان التوحيد في قلب المؤمن، أو أنّه يكون دافعاً وعاملاً من العوامل لذلك؛ لأنّ الاعتقاد بأنّ الله تعالى قد يخلف وعده يقع في دائرة الكفر، فخلف الوعد إمّا ناشئ من الجهل أو العجز أو الكذب، ومعلوم أنّ كل واحد من هذه الأمور محال على الله تعالى، وأنّ الذات المقدّسة منزّهة عن هذه الأمور السلبية؛ ولهذا السبب فإنّ الآيات محل البحث التي تستعرض سوء الظن بالله تذمّ هذه الحالة بشدّة وعنف.

3 - مراتب سوء الظن:

يمكننا تقسيم سوء الظن إلى قسمين:

أ ـ سوء الظن اللّساني والعملي: وهو سوء الظن الذي يتجسّد في أفعال الشخص وكلماته وأقواله، وهذا النوع من سوء الظن هو المحرّم شرعًا والذي يترتّب عليه العقاب.

ب ـ سوء الظن النفسي: وهو سوء الظن الذي لا يترتّب عليه أثر خارجي، وهو خارج تماماً عن دائرة اختيار الإنسان وإرادته، ولا يمكن إزالته بشتى الوسائل، فمثل

هـذا الظن السيء لا يكون مشمـولاً للتكاليف الشرعية مـادام الإنسان لم يرتّب عليـه أثراً معيّناً. ولهذا فإنّ سوء الظن هذا الـذي يقفز إلى ذهن الإنسان بدون اختيـار منه لا يكون مـورد الذمّ والعقاب لوحـده، فلو أنّه لـم يتجسّد في مرحلة العمل، ولـم يرتّب الإنسان عليه أثراً على مستوى الممارسة والكلام، ولم يصدر منـه سلوك يشير إلى سـوء الظن هذا، فإنّه لا يقع مورد الذمّ ولا العقاب؛ ولذلك ذكـر بعض علماء الأخـلاق توثيقهم في هذا المجـال: «وَأَمّا الخَواطـرُ وَحَديثُ النَّفسِ فَهُو مَعفُوٌّ عَنهُ... وَلَكنَّ المَنهِيَّ عَنهُ أَنْ تَظُنَّ. والظَّنُّ عِبارَةٌ عَمّا تِركَنُ إِلِيهِ النَّفسُ وَيَميلُ إِلَيهِ القَلبُ».وقد ورد في بعض الروايات قوله عليه السلام: «**وإذا ظَننتَ فـلا تَحَقِّـقْ**»[1]. وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اُطلُـبْ لأخِيكَ عُذراً، فَانْ لَم تَجِدْ لَهُ عُذراً فَالتَمِسْ لَهُ عُذراً**»[2] .

4 - الآثار السلبيّة لسوء الظّن بالناس:

إنّ اتساع دائرة سوء الظن في المجتمعات البشرية يترتّب عليها آثار سلبية وخيمة ومضرّات كثيرة،أهمّها ما يأتي:

أ- إنّ مـن أسوأ الآثار السلبيّـة لهذه الرذيلة الأخلاقية على المستوى الاجتماعي، هو زوال الثقة بين أفراد المجتمع، والذي يعدّ محور المجتمعات البشرية، والعنصر المهم في عملية شدّ مفاصل المجتمع وتقوية الوشائج والعلاقات التي تربط بين أفـراده، ومن ذلك قـول الإمام علي عليه السلام: «**شَرُّ النّاسِ مَنْ لا يَثِـقُ بِأَحَد لِسُوءِ ظَنِّهِ وَلا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ فِعلِهِ**»[3].

فنجد أنّ المجتمع البشري الذي يسوده عدم الثقة بين أفراده،مثل هذا المجتمع تتبخّر فيه أجواء التعاون والتكاتف وتزول منه البركات الكثيرة للحياة المشتركة

(1) المحجة البيضاء، ج5، ص268.

(2) بحار الأنوار، ج72، ص196، ح15.

(3) ابن أبي الحديد، شرح النهج،ج18، ص379.

في حيـاة الإنسان نقرأ فـي الحديث الشريف عن الإمـام علي عليه السلام قوله: «**مَنْ ساءَتْ ظُنُونُهُ،اعتَقَدَ الخِيانَةَ بِمَنْ لا يَخُونُهُ**»[1].

ب- إنّ سوء الظن يؤدّي إلى تدمير وتخريب الهدوء النفسي والروحي لذلك المجتمع، كما يميت الهدوء النفسي لأصحاب هذه الرذيلة الأخلاقية، فمن يعِش سوء الظن لا يجد الراحة والاطمئنان في علاقته مع الآخرين، ويخاف من الجميع، وأحياناً يتصـوّر أنّ جميـع الأفراد يتحرّكـون للوقيعة به ويسعون ضـدّه، فيعيش في حالة دفاعية دائماً، وبذلك يستنزف طاقاته وقابلياته بهذه الصورة الموهومة.

ج- ومضافاً إلى ذلك، فإنّ في الكثير من الموارد نجد الإنسان يتحرّك وراء سوء ظنه، ويترجـم سوء الظن هـذا إلى عمل وممارسة، وبالتالـي يوقعه في مشاكل كثيرة، وأحيانـاً يؤدّي به إلى ارتكاب جريمة سفك الدماء البريئة. وخاصة إذا كان سوء الظـن يتعلّق بالعرض والناموس، أو يتصـوّر أنّ الآخرين يتآمرون عليه ويهدفون إلـى الوقيعة به في ماله أو عرضه، بحيث يمكن القـول إنّ العامل الأصلي للكثير مـن الحالات الجنائية هـو سوء الظن، الـذي لا يقف على أساس متين، والذي يدفـع الإنسان إلى ارتكاب حالات العدوان والجريمة بحقّ الأبرياء، ورد عن أمير المؤمنيـن عليه السلام قوله: «**سُوءُ الظَّنِّ يُفْسِدُ الأمُورَ وَيَبْعَثُ عَلَى الشُّرورِ**»[2]. وعلى سبيـل المثال، نشير إلى هذه الحادثـة: دخل الطبيب النفسي يوماً ليعود مرضاه في مستشفى المجانين والمتخلّفين عقلياً،فرأى رجلاً قد جيء به حديثاً إلى هذا المكان، وهو يرّدد كلمة منديل مرّات عديدة، وعند ما بحث هذا الطبيب النفسي عـن حاله، واستقصى مرضه العقلي، رأى أنّ السبب في جنون هذا الشخص هو أنّـه رأى يومـاً في حقيبة زوجتـه منديلاً يحتوى على قنينة عطـر وبعض الهدايا المناسبـة للرجال، فأساء الظـن بزوجته فوراً، وتصوّر أنّهـا على ارتباط برجل

(1) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص436.

(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ،ص 283.

أجنبي؛ فكان أن قتلها بدافع من الغضب الشديد وبدون تحقيق وفحص، وبعد أن فتح المنديل رأى في طيّاته ورقة كتب عليها، هذه هدية منّي إلى زوجي العزيز بذكرى يوم ولادته. وفجأة، أصابته وخزة شديدة، وشعر بضربة عنيفة في أعماق روحه، أدّت إلى جنونه، فكان يتذكّر هذا المنديل ويكرّره على لسانه.

د- إنّ سوء الظن يتسبّب في أن يفقد الإنسان أصدقاءه ورفاقه بسرعة، وبالتالي يعيش الوحدة والانفراد والعزلة، وهذه الحالة هي أصعب الحالات النفسية الّتي يواجهها الفرد في الحياة الاجتماعية؛ لأنّ كلّ إنسان يحترم مكانته وشخصيته، نجده غير مستعد لأن يعيش ويعاشر الشخص الذي يسيء الظن بأعماله الخيرة وسلوكياته الصالحة ويتّهمه بأنواع التهم الباطلة، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ غَلَبَ عَلَيهِ سُوءُ الظَّنِّ، لَم يَترُكْ بَينَهُ وَبَينَ خَلِيل صُلحَاً**»[1].

هـ- إنّ سوء الظن باعتباره انحرافاً فكريّاً، فإنّه سيؤثّر بالتدريج على أفكار الإنسان الأخرى، وسيقود تصوّراته وأفكاره في طريق الانحراف أيضاً، فتكون تحليلاته بعيدة عن الواقع ومجانبة للصواب، فيمنعه ذلك من التقدّم، ونيل التوفيق في حركة الحياة، وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**مَنْ ساءَ ظَنُّهُ، ساءَ وَهمُهُ**»[2].

5 - الآثار السلبية لسوء الظن بالله:

إنّ لسوء الظن بالله تعالى، وعدم الثقة بالوعود الإلهية الواردة في القرآن الكريم والأحاديث المعتبرة له، آثار سلبية مخرّبة في دائرة الإيمان والعقائد الدينية، حيث يمثّل سوء الظن عنصراً هدّاماً لإيمان الشخص، ويبعده عن الله تعالى، كما قرأنا في الروايات السابقة عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم في مناجاة النبي داود عليه السلام قوله: «**يا**

(1) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ،ص433.

(2) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص430

رَبِّ، مـا آمَـنَ بِكَ مَنْ عَرَفَـكَ فَلَم يُحسِنِ الظَّـنَّ بِكَ»[1].ومضافاً إلى ذلك، فإنّ سوء الظـن بالوعود الإلهية يتسبّب في فساد العبادة وحبـط العمل؛ لأنّه يقتل في الإنسان روح الإخلاص وصفاء القلب، وقد ورد: **«إِيَّاكَ أَنْ تُسِيءَ الظّنَّ، فَإِنَّ سُوءَ الظّنِّ يُفسِدُ العِبادَةَ وَيُعَظِّمُ الوِزرَ»**[2].

6 - التخلّص من سوء الظن بحسن الظن:

سـوء الظن يفضـي إلى إيجاد الخلل والارتباك في المجتمـع البشري، ويؤدّي إلى سقـوط الإنسان الأخلاقي والثقافي، ويورثه التعب والألم والشقاء والمرض الجسمي والروحـي، بينمـا نجد فـي المقابل بـأنّ حسن الظن يتسبّـب في أن يعيشـ الإنسان الراحـة والوحـدة والاطمئنـان النفسي؛ ولهذا السبـب نجد أنّ الروايـات تؤكّد على حسـن الظن بالنسبة إلى الناس، وكذلك بالنسبة إلى الله تعالى. أمّا في مورد حسن الظـن بالنسبة إلى الناس، وقدورد عـن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«حُسنُ الظَّنِّ مِـنْ أَفضَـلِ السَّجايـا وَأَجزَلِ العَطايـا»**[3]، وعنه عليه السلام قوله: **«حُسـنُ الظَّنِّ يُخَفِّفُ الهَمَّ، وَيُنجي مِنْ تَقَلُّدِ الإثمَ»**[4]، بل واعتبر عليه السلام أنّه يورث المحبّة فوردعنه عليه السلام أنّه قال: **«مَنْ حَسُنَ ظنُّهُ بِالنّاسِ، حازَ مِنهُمُ المَحَبَّةَ»**[5].

أمّـا بالنسبـة إلـى حسن الظنّ بالله تعالـى، فقد ورد عن الإمـام علي بن موسى الرضـا عليه السلام أنّه قال: **«وَأَحسِنِ الظَّنَّ بِاللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَـزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنا عِندَ ظَنِّ عَبدِي المُؤمِنِ بِي، إِنْ خَيراً فَخَيرٌ وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ»**[6].

وورد عـن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قـال: **«وَالَّذِي لا إِلـه إِلاّ هُـوَ، لا يَحسُنُ ظَنُّ عَبدٍ**

(1) بحار الأنوار، ج67، ص394.

(2) غرر الحكم،ح 2709.

(3) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة،ج14، ص173.

(4) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ،ص228

(5) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص435.

(6) أصول الكافي، ج2، ص72، ح3.

مُؤمِـن بِـاللهِ، إلاّ كـانَ اللهُ عِندَ ظَنِّ عَبـدِهِ المُؤمِنِ؛ لأَنَّ اللهَ كَرِيـمٌ، بِيَدِهِ الخَيراتُ، يَستَحِيـي أَنْ يَكُـونَ عَبـدُهُ المُؤمِـنُ قَـدْ أَحسَـنَ بِهِ الظَّنَّ، ثُـمَّ يُخلِفُ ظَنَّـهُ وَرَجاءَهُ؛ فَأَحسِنُوا بِاللهِ الظَّنَّ، وَارغَبُوا إِلَيهِ»[1].

(1) بحار الأنوار، ج67، ص365، ح14.

5

الوقاية من أمهات مفسدات المجتمع

مفاهيم محورية:

- وقاية الأهل والنفس من النار.
- ضعف العفّة وهيمنة الشهوات.
- الشائعات وأثرها في خراب المجتمع.
- انتشار السم القاتل: الخمر والمخدرات.

تصدير الموضوع:

روي عن النبي محمد ﷺ أنّه قال في حجّة الوداع: «**إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، وإتباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم المال، وبيع الدنيا بالدين، فعندها يُذاب قلب المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يُغيّره، ثم قال: إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويُخوّن الأمين، ويُصدّق الكاذب، ويُكذّب الصادق، ثم قال: فعندها يجفو الرجل والديه ويبرّ صديقه، ثم قال: فعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء،... ويشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال... فعليهم من أمتي لعنة الله، ثم قال: إنّ عندها... تكثر الصفوف والقلوب متباغضة، والألسن مختلفة، ثم قال: فعند ذلك تحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج،... ثم قال: فعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالغيبة والرشا، ويوضع الدين وترفع الدنيا، ثم قال: وعندها يكثر الطلاق فلا يقام لله حد ولن يضر الله شيئاً، ثم قال: وعندها تظهر القينات والمعازف... ثم قال: وذلك إذا انتهكت المحارم، واكتسب المآثم، وتسلّط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر الحاجة،... إلى أن قال: فأولئك يدعون في ملكوت السماء الأرجاس الأنجاس**»[1].

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج11، ص278، باب جملة مما ينبغي تركه من الخصال.

1 - وقاية الأهل والنفس من النار:

يخاطب القرآن الكريم جميع المؤمنين، ويرسم لهم المنهج الصالح لتربية الزوجات والأولاد والأسرة بشكل عام، فهو يقول أولاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]، وذلك بحفظ النفس من الذنوب وعدم الاستسلام للشهوات والأهواء، وحفظ العائلة من الانحراف بالتعليم والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهيئة الأجواء الصالحة والمحيط الطاهر من كل رذيلة ونقص. وينبغي مراعاة هذا البرنامج الإلهي منذ اللحظات الأولى لبناء العائلة، أي منذ أول مقدّمات الزواج، ثم مع أول لحظة لولادة الأولاد، ويُراعى ويُلاحظ بدقّة حتى النهاية. فإنّ حقوق الزوجة والأولاد لا تقتصر على توفير المسكن والمأكل، بل الأهم تربية نفوسهم وتغذيتها بالأصول والتعاليم الإسلامية وتنشئتها نشأة تربوية صحيحة.

والتعبير بـ «**قوا**» إشارة إلى أنّ ترك الأطفال والزوجات دون أية متابعة أو إرشاد سيؤدّي إلى هلاكهم ودخولهم النار شئنا أم أبينا. لذا عليكم أن تقوهم وتحذّروهم من ذلك «**الوقود**» وهو المادة القابلة للاشتعال مثل (الحطب) وهو بمعنى المعطي لشرارة النار كالكبريت - مثلاً - فإنّ العرب يطلقون عليه (الزناد). وبناءً على هذا فإنّ نار جهنم ليس كنيران هذا العالم، لأنّها تشتعل من داخل البشر أنفسهم ومن داخل الصخور وليس فقط صخور الكبريت التي أشار إليها بعض المفسّرين، فإنّ لفظ الآية مطلق يشمل جميع أنواع الصخور[2].

وفي هذا الزمان تكثر المفسدات الاجتماعية وتتنوّع الابتلاءات بها بين الناس، وقد عدّدت الرواية في مطلع هذا الدرس الكثير من هذه المفسدات الخطيرة، وسنقتصر بالكلام عن بعض هذه الأمراض والابتلاءات المعاصرة وأهمها:

---

(1) التحريم، 6.

(2) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج18، ص454.

2 - ضعف العفّة وهيمنة الشهوات:

تقع «**العفّة**» في النقطة المقابلة لـ «**شهوة البطن والفرج**» وهي عبارة عن حصول حالة للنفس تمتنع بها مـن غلبة الشهوة، وتحفظها من الميول والشهوات النفسانية، وعلى هذا فالعفّة صفة باطنية، وقد ذكر علماء الأخلاق في تعريف العفّة: أنّها الحدّ الوسـط بين الشهوة والخمود. وعلى أي حال فـإنّ المستفاد من آيات القرآن الكريم والروايـات الإسلامية أنّ العفّة من أعظم الفضائـل الأخلاقية والإنسانية، ولا يمكن لأي شخصـ أن يسيـر نحو الكمال من دون التحلّي بها ونجـد في حياتنا الدنيوية أنّ كرامة الإنسان وشخصيته وسمعته رهينة بالتحلّي بهذه الفضيلة الأخلاقية[1].

أ- قيمة العفّة في الإسلام:

لقـد تحدّثت الروايات الـواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيتـه عليهم السلام عن قيمة العفة، وجعلـت العفيف بمنزلة الملائكة، ووصف العفاف بأنّـه أفضل من العبادة. روي عن الإمـام علي عليه السلام: «**أفضل العبادة العفاف**»[2]، وعنـه عليه السلام: في وصيته لمحمد بن أبـي بكـر لمّا ولّاه مصر: «**يا محمد بن أبي بكر، اعلم أنّ أفضل العفّة الورع في دين الله والعمـل بطاعتـه...**»[3]. وعنه عليه السلام أيضاً: «**ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظـم أجـراً ممّـن قدر فعفّ، لـكاد العفيف أن يكـون ملكاً من الملائكـة**»[4]. وهي أفضـل شيمة، وعنه عليه السلام: «**العفة أفضـل الفتوة**»، «**وأفضل شيمـة، والعفاف زينة الفقر**»، وعنه عليه السلام: «**زكاة الجمال العفاف**»[5].

---

(1) آية الله ناصر مكارم شيرازي ، الأخلاق في القرآن الكريم، ج1، بتصرّف.

(2) الكافي، ج2، ص79، ح3.

(3) بحار الأنوار، ج77، ص390، ح11.

(4) نهج البلاغة، الحكمة 474.

(5) غرر الحكم، 35،1989،529،1168،730،729.

ج- الحثّ على عفّة البطن والفرج:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾[1]. وعن رسول الله ﷺ: «**أحب العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن والفرج**»[2]. وعن الإمام علي عليه السلام: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيراً أعف بطنه وفرجه**»[3].

فالعفّة برنامج حياة وخلق وأدب، يجب أن يتحلّى بها من أراد السموّ والمروءة، ومن أهم أسباب وأسرار تماسك المجتمعات والأسر هو وجود العفّة قوّية راسخة في ذلك المجتمع. وإنّ من أسباب تفكّك المجتمعات والأسر، هو ضياع العفّة وضعفها، وكثرة الابتذال، والتحلّل من القيود والضوابط الدينية، بلا فرق بين الفقهي، والأخلاقي، والاجتماعي والمالي منها، وأكثر ما يؤدّي إلى الابتذال وضعف العفّة أو عدم وجود العفاف هو:

- وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة وما تُقدّمه من سموم عبر شاشاتها ووسائلها المختلفة.
- حملات الإفساد الموجّهة للمرأة، وتزيين الفاحشة لها، وذلك بالدعوة للتبرّج والسفور، وترك الحجاب.
- تأخّر الزواج عند الشباب، وذلك بسبب صعوبة المعيشة وارتفاع المهور.
- قلّة الورع، وقلة الأمانة، وعدم المبالاة بالحلال والحرام.

(1) المعارج، 29 – 30.

(2) تنبيه الخواطر، 30/2.

(3) غرر الحكم، 4114.

3 - الشائعات وأثرها في خراب المجتمع:

تشـكّل الشائعات أحـد الأسباب الرئيسـة للكثير من الفتن والاعتـداءات والقتل وهتـك الأعراض، مـع أنّ الإشاعة لا تستنـد إلى دليل في أغلب الحـالات. وقد عالج الديـن الإسلامي هذه الظاهرة بالحثّ على التبيّن والتحقّق من الأخبار التي تطرق آذانهم والنهي عن الأخذ بالأخبار إذا جاءت من الفاسقين.

قال الله سبحانه وتعالـى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]، والمعنـى واضـح وهـو الأمـر بالتأنّـي وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق.

ويقـول الله سبحانـه وتعالـى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [2]، أي لا تنقـل خبـراً إلا بعـد التثبُّت من صحته من قول يقال أو رواية تروى ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية ولا تشهد إلا بما رأت عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك.

أما في السنة فإنّ النبيﷺ ينهانا عن كثرة الكلام ويحثّنا على وجوب تمحيص المسموع، وأن يكون لدينا معيار نقيس عليه ما يرد على أذهاننا من كلام فنأخذ منه ما يوافق الشرع ونطرح ما يخالفه، فقد قالﷺ: «**إنّ الله كره لكم ثلاثاً قيلٌ وقال، وإضاعـة المـال، وكثرة السؤال**»[3]، ومعنى (قيل وقـال): تجنّب كثرة الكلام وتناقله لأنّها لا تخلو من الخوض في الباطل ولا من الاغتياب ولا من الكذب، وفي حديث آخر يقولﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع**»[4].

---

(1) الحجرات، 6.

(2) الإسراء، 36.

(3) رواه البخاري في صحيحه ج2، ص537. حديث رقم 1407. كتاب الزكاة ـ باب لا يسألون الناس إلحافاً.

(4) رواه مسلم في صحيحه ج1، ص10. حديث رقم 5 ـ المقدمة ـ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

4 - انتشار السم القاتل الخمر والمخدرات:

من الأمور الأساسية التي تبتلى بها المجتمعات الحديثة، وتؤدّي إلى الفساد والانحراف، الخمر والمخدرات:

أ- تحريم الخمر في الإسلام:

كان الخمر سلعة رئيسة في المجتمع العربي قبل الإسلام، ومورداً اقتصادياً هاماً، ولهذا كان تداول الناس به على مستوى الصناعة، التجارة، والشرب وغيرها من الأمور الطبيعية وشبه اليومية عند شرائح كثيرة من الناس. ونظراً للمفاسد والأضرار الكبيرة الناشئة عنه حرص المشرّع الإسلامي على القضاء على هذه الآفة ضمن سلسلة من المحرّمات التي تضمن سلامة المجتمع وتحصينه. وهو ما جاء في القرآن الكريم في عدة آيات، قال الله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1].

وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

وفي مورد أخرى قال الله سبحانه: ﴿... إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]. فالواضح أنّ الله تعالى قد أوضح المفاسد والآثار السلبية الناشئة عن الخمر، حتى اعتبره رجس من عمل الشيطان، وأمر بالاجتناب عنه. وجاء في العديد من الروايات تحريم كل مسكر غير الخمر، ومنها صحيحة فضيل حيث ذكر فيها «**وحرّم الله الخمرة بعينها، وحرّم رسول الله المسكر**

(1) البقرة، 219.

(2) المائدة، 91.

(3) المائدة، 90.

مـن كل شـراب فأجـاز الله لـه ذلـك»[1] إذن فتحريـم الخمر صادر عـن الله تعالى، وتحريم بقية المسكرات صدر عن النبيﷺ وكلاهما تشريع إسلاميّ ملزم للناس.

ب- تعاطي المخدّرات:

مشكلة المخدّرات من أخطر المشاكل الصحية والاجتماعية والنفسية التي تواجه العالـم أجمع وطبقاً لتقديرات المؤسّسـات الصحية العالمية يوجد ما يزيد عن 800 مليون من البشر يتعاطون المخدرات أو يدمنونها[2].

والمخـدّرات في مجملها تؤثّر على المخ وهذا سرّ تأثيرها والكثير منها يتسبّب في ضمور (موت) بعض خلايا الجزء الأمامي لقشرة الدماغ (Cortex). وهناك مخدّرات تسبّب إدماناً نفسياً دون تعوّد عضوي لأنسجة الجسم مثل: القنب (الحشيش)، القات، وعند توفّر الإرادة لدى المتعاطي فإن الإقلاع لا يترك أي أعراض على المتعاطي.

وهنـاك مخـدرات تُسبّـب إدمانـاً نفسياً وعضويـاً أهمهـا: الأفيـون، المورفين، الهيرويـن، الكوكاييـن، الكـراك وكذلـك الخمـور وبعض المنوّمـات والمهدّئـات. والإقلاع عن تعاطي تلك المخدرات يتسبّب في أعراض قاسية للغاية تدفع المتعاطي للاستمرار بل وزيادة تعاطيه. لذلك يجب التنبّه من عدم الوقوع في شرك المخدّرات والمبادرة إلى طلب المشـورة والعلاج مهما كانت مرحلة الإدمان حيث سوف تتحقّق المكاسب الصحية لا محالة.

وأمـا أعراض الخمـور وأضرارهـا فحدّث عن ذلـك ولا حرج فأمراض القلب،

---

(1) راجع وسائل الشيعة ج27 باب تحريم كل مسكر والوافي ج2 ص142.

(2) الإدمـان علـى مخـدر ما، يعنـي تكوّن رغبة قويـة وملحة تدفـع المدمن إلـى الحصول علـى المخدر وزيـادة جرعته بأي وسيلـة، مع صعوبـة أو استحالة الاقلاع عنه سواء للاعتماد (الإدمان) النفسي أو لتعـوّد أنسجة الجسم عضوياً (Drug Dependency) وعادة ما يعاني المدمن من قوة دافعة قهرية داخلية للتعاطي بسبب ذلك الاعتماد النفسي أو العضوي. ولقد تضافرت عديد من العوامل السياسية، الاقتصادية والاجتماعية لتجعل من المخدرات خطراً يهدّد العالم أو كما جاء فـي بيـان لجنة الخبراء بالأمم المتحدة « **إن وضع المخدرات بأنواعها في العالم قد تفاقم بشكل مزعج وأن المروّجين قد تحالفوا مع جماعات إرهابية دولية لترويج المخدرات**».

وتصلّب الشرايين، وقرحة المعدة، وانتكاسة الجهاز الهضمي، وجملة الأعراض العقلية والنفسية والسلوكية، وتعرض الجينات الوراثية للأخطار، والتأثير على الأجنة والمواليد، عدا التضحية بالعقل والمال والوقار، وهكذا...

ج- من الأضرار الاجتماعية للمخدّرات:

- انهيار المجتمع وضياعه بسبب ضياع اللبنة الأولى للمجتمع وهي ضياع الأسرة.
- تسلب من يتعاطاها القيمة الإنسانية الرفيعة، وتهبط به في أودية البهيمية، حيث تؤدّي بالإنسان إلى تحقير النفس فيصبح دنيئاً مهاناً لا يغار على محارمه ولا على عرضه، وتفسد مزاجه ويسوء خلقه.
- سوء المعاملة للأسرة والأقارب فيسود التوتّر والشقاق، وتنتشر الخلافات بين أفرادها.
- امتداد هذا التأثير إلى خارج نطاق الأسرة، حيث الجيران والأصدقاء.
- تفشّي الجرائم الأخلاقية والعادات السلبية، فمدمن المخدرات لا يأبه بالانحراف إلى بؤرة الرذيلة والزنا، ومن صفاته الرئيسة الكذب والكسل والغش والإهمال والسرقة.

د- الحكم الشرعي للمخدرات:

أجمع علماء المسلمين من جميع المذاهب على تحريم المخدرات، كونها تؤدّي إلى الإضرار في دين المرء وعقله وطبعه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]. وحرّم رسول الله المسكر من كل شراب كما جاء في العديد من الروايات، وقد نهى الدين

(1) المائدة، 90.

الإسلامي عن كل ما يؤدّي إلى الإضرار بالنفس، أو بالآخرين، وهو ما أجمع عليه فقهاء المسلمين من جميع المذاهب.

نماذج من الفتاوى:

- يحرم تعاطي كل ما يضر بالبدن والعقل حرمة شديدة كالأفيون والحشيش والكوكايين وجميع أنواع المخدرات الضارة والسموم[1].
- أورد الفقهاء في رسائلهم العملية فتاوى جامعة في حرمة الخمر والمخدرات هذه خلاصتها: يحرم استعمال المخدّرات مع ما يترتّب عليه من الضرر البليغ، سواء من جهة إدمانه، أم من جهة أخرى، بل الأحوط لزوما الاجتناب عنها مطلقاً، إلا في حالات الضرورة الطبية ونحوها، فتستعمل بمقدار ما تدعو إليه الضرورة.

ولقد وقف الإسلام موقفًا حازمًا من الخمر وشربه وبيعه وغرسه وعصره وحمله، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

وروي عن الرسول الأعظم ﷺ «**من شرب الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب، ولا يشفع إذا شفع، ولا يُصدّق إذا حدّث، ولا يؤتمن على أمانة**»[3]. وفي رواية معتبرة: «**لعن الله الخمر وغارسها وعاصرها، وشاربها، وساقيها، وبايعها، وشاريها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه**»[4]. وقد عدّ الفقهاء الخمر من الأعيان النجسة فقالوا: الخمر، ويلحق بها كل مسكر مائع

(1) الغروي، محمد، الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام، ص19.
(2) المائدة، 90-91.
(3) فروع الكافي، ج6، ص396.
(4) الصدوق، من لا يحضره الفقيه،ج4،ص4.

بالأصالــة من النجاسات، وأما الجامد كالحشيشــة – وإن غلى وصار مائعًا بالعرض – فهــو طاهر لكن الجميع حرام بلا إشــكال. وحرّموا أيضاً بيع العنب أو التمر ليعمل خمراً. وكذا تحرم ولا تصح إجارة المساكن لتباع فيها الخمرة أو تحرز فيها، أو يعمل فيهــا شيء مــن المحرّمات، وكذا تحرم ولا تصح إجارة السفــن أو الدواب أو غيرها لحمــل الخمــر، والأجرة في ذلك محرّمة، بل وحرّمــوا الأكل من مائدة يُشرب عليها الخمر أو المسكر، ويحرم الجلوس عليها.

ولمّــا كان الأصل في حرمــة الخمر هو الإسكار، فكل الفصائــل المسكرة محرّمة كالبيرة والبارندي والويسكي وأمثالها، لأنّ القاعدة: حرمت الخمر لإسكارها، وبعبارة أوضــح تحرم تلك الأصناف عامة لأنّها مسكرة ومنها الفقاع – وهو البيرة – شراب مخصوص متّخذ مــن الشعير غالباً، وليس منه ماء الشعير الذي يصفه الأطباء. ولا يجــوز للمسلم تقديم الخمــر لأي كان، وإن كان مستحلّاً له، ولا يجوز له غسل أوانيه، ولا تقديمها لغيره، إذا كان ذلك الغسل وهذا التقديم مقدّمة لشرب الخمر فيها. كما لا يجــوز إجارة نفسه لبيع الخمــر، أو تقديمه، أو تنظيف أوانيه مقدّمة لشربه، كما لا يجوز له أخذ الأجرة على عمل كهذا لأنه حرام...

6

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحصين المجتمع

مفاهيم محورية:

- المفاسد الشائعة في المجتمع وطرق معالجتها.
- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبهما.
- معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تصدير الموضوع:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

مقدّمة:

تقوم فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مبدأ تعزيز الإيمان بالله، واحترام القيم والمقدّسات الدينية والإنسانية، وحماية المجتمع الإسلامي من الانحرافات الثقافية والأخلاقية التي تهين كرامتنا، وتسيء إلى أطفالنا وشبابنا ونسائنا وأهلنا، فتشوّه نفوسهم وتلوّث فطرتهم، وتحرف أخلاقهم، وتدفع بهم نحو الابتذال والخواء واللغو، وحماية الأسرة من التسيّب الأخلاقي والتربوي، والتحذير من الآثار السلبية لوسائل الإعلام والإنترنت ونحوها.

1 - المفاسد الشائعة في المجتمع وطرق معالجتها:

تنتشر في مجتمعاتنا الإسلامية الكثير من المفاسد الخطيرة، مّا يؤدّي إلى ضعف الارتباط بالدين والرسالة، فضلاً عن فساد الأفراد والمجتمعات.

---

(1) آل عمران،110.

أ- الأسباب:

- ضعف الثقافة الإسلامية والروح الإيمانية.
- عدم قيام من تتوفَّر بهم الشرائط بواجباتهم كما يجب.
- عدم وجود خطط وبرامج منظّمة للأمر والنهي والإرشاد.
- عدم كفاية البرامج والنشاطات الموجودة.
- ضعف التأثير وجمود الأساليب المعتمدة.
- انتشار وتطوّر وتعدّد مراكز وعناوين الفساد والانحراف والمنكر.

ب- أنواع المفاسد:

تبرز المفاسد بين الناس في عناوين متنوّعة، بلا فرق بين الأفراد والجماعات:

- الشهوات والحاجات الجنسية للجنسين.
- الحفلات، الاحتفالات، الاختلاط بشكل عام.
- الاستماع إلى الموسيقى والغناء المحرّمين.
- وسائل الإعلام، الفضائيات، الكتابات، المنشورات.
- الاستفادة السلبية من الكمبيوتر والإنترنت.
- الظلم والاعتداء والغشّ والمكر والخديعة.

ج- طرق المعالجة:

- بثّ روح الثقافة الإسلامية والإيمانية.
- تنويع وتطوير البرامج الدينية والثقافية.
- المواجهة العملية والجدّية لكل وسائل وبرامج ومفردات الإعلام المنحرف.
- التنشيط الاجتماعي والتواصل مع شرائح المجتمع كافة، وبعناوين مختلفة، نجتمع فيها مع الآخرين.

- التوجيه الدائم للاستفادة الإيجابية من الوسائل الحديثة.
- تنشيط الروحية الرسالية والتربوية بين الناس، بواسطة الاقتداء بنماذج في موقع القدوة والتأثير.
- إيجاد بدائل عملية ووسائل فاعلة في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وضع خطط وبرامج منظّمة من لجان أو جمعيات خاصة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بإشراف العلماء والحوزات العلمية والجمعيات والمؤسسات.

2 - أهمّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبهما:

أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضروريات الدين: وهما من أسمى الفرائض وأشرفها، وبهما تقام الفرائض، ووجوبهما من ضروريات الدين، ومنكرهما مع الالتفات بلازمهما من الكافرين[1].

ب- وجوب الأمر والنهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الأمّة جمعاء: فيجب الأمر والنهي على كلّ من تتوفَّر فيه الشرائط من العلماء، وغيرهم من الرجال والنساء، وحتى الفسّاق، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

روي عن رسول الله ﷺ: «**لا تزال أمّتي بخير، ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك، نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء**»[3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**كان رسول الله ﷺ يقول: إذا أمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليأذنوا بوقاع من الله**»[4].

---

(1) بتصرّف، الإمام روح الله الموسوي الخميني، تحرير الوسيلة، ج1، 462.

(2) آل عمران، 104.

(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 16، ص 123.

(4) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 16، ص 118.

وهمـا واجبان كفائيان: فالأمـر والنهي واجبان على نحو الوجـوب الكفائي، فإذا تصـدّى لهمـا من به الكفايـة، لإنجاز المهمّـة وتحقيق الواجب، سقـط التكليف عن الباقيـن، غيـر أنّ وجوبـه مستمرّ في عموم حـالات المنكر، مـا دام المنكر موجوداً والمعروف متروكاً.

3 - معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المـراد بالأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر هو قيام المكلّـف بواجب التصدّي لتـارك المعـروف أو لفاعـل المنكـر؛ لحثّه على فعـل المعروف وتـرك المنكر بأحد الأساليب التي وضعتها الشريعة لذلك.

ولا بدّ قبل تفصيل هذه الفريضة الإلهية من تحديد أمرين هامّين:

أ- معنى المعـروف: المراد بالمعروف كلّ فعل حسن أوجبَتْـه الشريعة المقدّسة أو ندبـت إليه، فـإنْ كان واجباً كان الأمر به واجبـاً، وإنْ كان مستحبّاً كان الأمر به مستحبّاً.

ب- معنى المنكر: المراد بالمنكر كلّ فعل كرهته الشريعة، فحرّمت فعله أو حثّت على التنزّه عنه وتركه، فإنْ كان المنكر حراماً كان النهي عنه واجباً، وإنْ كان مكروهاً كان النهي عنه مستحبّاً وراجحاً.

4 - كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يجـب أن يكون الأمر والنهي برفق ولين وهـدوء، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]. وقـال الله تعالـى مخاطباً نبيّه موسى عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2].

(1) النحل، 125.

(2) طه، 43-44.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قوله لعلي عليه السلام: «**يا عليّ، إنّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق**»[1].

فلا بدّ من عدم الإفراط في الأمر والنهي ما يستلزم الإثقال على المأمور وتزهيده في الدين وتنفيره منه وانقلاب الأمر إلى ضدّه، وهذا يعني ضرورة تقديم الواجب والحقيقة بأسلوب موضوعي حكيم، يتناسب مع قابليات الإنسان وقدرته على الاستيعاب، وينسجم مع الزمان والمكان. روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يا عمر، لا تحملوا على شيعتنا، وارفقوا بهم؛ فإنّ الناس لا يحتملون ما تحتملون**»[2].

5 - مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يمكن للمكلّف مع توّفر الشرائط، مهما كان موقعه في المجتمع، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويواجه العصاة والمنحرفين والمتمرّدين، بأساليب ثلاثة على نحو الترتيب؛ بمعنى أنّه لا يجوز التعدّي من مرتبة إلى أخرى مع إمكانية حصول المطلوب من المرتبة الدانية.

أ- المرتبة الأولى: الإنكار والانزجار القلبي:

وهو أن يأتي بعمل يُظهر به انزعاجه وكراهته للمعصية. ولهذه المرتبة عدّة مظاهر، مثل:

- الإعراض عن فاعل المنكر بالوجه والبدن.
- ترك الكلام معه.
- عدم مصافحته أو السلام عليه.
- العبوس والانقباض في الوجه.
- المقاطعة والهجران.

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 1، ص 110.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 16، ص 159.

- عدم قبول الهدايا أو ردّها.

ولا بدّ هنا من الاقتصار على الدرجة الدانية فالدانية، والأيسر فالأيسر.

ب- المرتبة الثانية: الأمر والنهي اللساني:

وهـو الأمر والنهي بالكلمة، بالنحو المناسـب والمؤثّر. وتتحقّق هذه المرتبة بعدّة أمور، منها:

- الإرشاد والقول اللّين، وليس من الضروري أن يكون بصيغة الأمر والنهي.
- بصيغة البيان والتوضيح وشرح الأهداف والآثار.
- بصيغة الموعظة والتخويف من العقاب والترغيب في الثواب.
- بالصيغة الشديدة القوية الخالية من التهديد.
- بالصيغة الشديدة القوية المشتملة على التهديد والوعيد.

ج- المرتبة الثالثة: الإنكار باليد:

وهـي إعمـال القـدرة البدنية للأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكـر، من خلال استخدام القوّة التي تؤذي فاعل المنكر بشروط:

- استخدام المراتب من الأضعف إلى الأشد.
- أن تتمّ بإذن الإمام أو نائبه العام.
- إصرار ومعاندة فاعل المنكر.

فإذا علم بأن المرتبتين الأوليين لا تؤثّران، واحتمل التأثير بالثالثة، انتقل إليها.

ويجب مراعاة الأيسر فالأيسر هنا؛ فلو أمكنه المنع من فعل المنكر بالحيلولة بينه وبين المنكر، وجب الاقتصار عليه.

7

الوحدة وأثرها في حفظ المجتمع وتماسكه

مفاهيم محورية:

- أصالة الوحدة.
- أصول الوحدة في الدين الإسلامي.
- ما هي الوحدة المرجوّة؟
- واجبات المجتمع الوحدوي.
- ثقافة المداراة، لا التملّق والمداهنة.

تصدير الموضوع:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

1 - أصالة الوحدة:

لقد حرص الإسلام في نظرته إلى الإنسانية على إرساء قواعد الوحدة بين أفراد الإنسانية جمعاء، فلا مائز لا من حيث الأجناس، أو الألوان، أو الأقاليم، بين أفراد البشرية، فالجميع من نفس واحدة، وطينة واحدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[2]، وحتى الاختلاف الشكلي أو الظاهري الموجود لجهة اللون أو اللغة ونحوها، فهو آية من آيات الله، لها حكمتها وفلسفتها الخاصة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[3].

ولهذا، يمكن القول: إنّ الفرقة القسرية التي تفرضها طبيعة جغرافية الأرض

---

(1) آل عمران، 103.

(2) النساء، 1.

(3) الروم، 22.

والمساحات أو المسافات، لا تُلغي أو تحرف مبدأ التلاقي الإنساني بين جميع بني البشر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]. فمبدأ التعارف القرآني هذا يُلغي المسافات ويُقرّب القلوب، ويفرض على الجميع نوعاً من الإلفة والمحبة والتعاون والإيثار، وهي أهم ركائز الوحدة المرجوّة.

2 - أصول الوحدة في الدين الإسلامي:

لقد اعتبر القرآن الكريم أنّ مبدأ الوحدة من الثوابت والأصول الفكرية للبشر، التي ترتكز عليه منظومة الأخلاق والقيم التي تشكّل الرابط الأهم بين المجتمعات الإنسانية. ويتضّح هذا الأمر لكل من يلقي نظرة عامة إلى القرآن الذي يخاطب الناس جميعاً في الكثير من الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ودعا في آيات أخرى إلى الاعتصام والتلاقي والتوحّد، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾[2].

هذا كله إلى جانب وحدة الإله، والنبي المرسل ﷺ، والكتاب المنزل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[4].

وورد في السنة الشريفة: «**لا تختلفوا؛ فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[5]. «**عليكم بالجماعة، وإياكم الفرقة**»[6].

---

(1) الحجرات، 13.

(2) البقرة، 214

(3) سبأ، 29.

(4) الأعراف، 158.

(5) كنز العمال، ج1، ص177.

(6) سنن الترمذي، ج4، ص466.

3 - ما هي الوحدة المرجوّة؟

إذا كان الدين الإسلامي قد حرص على الوحدة الإنسانية، فضلاً عن الوحدة الإسلامية، بين أبناء هذا الدين الذي اهتم بتفاصيل العلاقة بين أفراده فضلاً عن كلياتها وأصولها، والتي تضمن - لو اتبعت - حياة سعيدة وهادئة لكل البشر، بل المخلوقات الحيّة، فأيّ وحدة تلك التي ينبغي أن تحكم علاقة المسلمين بين بعضهم، وترسم معالم العلاقة مع الآخر؟

هنا يمكن القول: إنّ مختلف عناوين الوحدة وأشكالها وصورها القائمة على المجاملات - التي لا تتعدّى حدود الألفاظ والشكليات- لا يمكن لها أن تُحقّق أدنى غاياتها، ولو كانت بأفضل صورها وأجملها وأرقاها. وليس هي ما يطمح إليها المسلمون الحريصون على قدسيّة الإسلام ومصالح بنيه وحفظ ثوابته العقائدية والفكرية؛ ولهذا، فإنّ الوحدة المرجوّة هي تلك الوحدة المرتكزة على الأصول الوحدوية للبشر التي ذكرها القرآن الكريم، إضافة للأصول والفروع التي ابتنيت عليها الشريعة الإسلامية، وكُلّف بها أبناؤه وغيرهم، والتي من المفترض أن تقضي على ظاهرة التفرقة والتباين والتكفير ونحوها، وتلغي كلّ المعيقات المصطنعة أو المدسوسة أو المنحرفة التي تمنع تلاقي المسلمين ووحدتهم؛ فقد ورد عن رسول الله أنّه قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر**»[1].

4 - واجبات المجتمع الوحدوي:

تؤكّد النصوص الإسلامية على العديد من المفاهيم والقيم التي تساهم في تكريس ثقافة الوحدة وممارستها في المجتمع، وأكدّ رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على التآزر والتعاون والتواصل والتحابب ليكون الود والوئام والسلام هو الحاكم في

(1) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج 3، ص 357.

العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع وبين الأفراد أنفسهم، ويبرز ذلك في العديد من الروايات، منها:

أ- كلّكم مسؤول: جعل الإسلام كلّ مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، روي عن رسول الله ﷺ: «**كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[1] ودعا أهل البيت عليهم السلام إلى استخدام الأساليب المؤدّية إلى الألفة والمحبّة، ونبذ الأساليب المؤدّية إلى التقاطع والتباغض؛ روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه لا يقول: سلّمت فلم يردّوا عليّ، ولعلّه يكون قد سلّم ولم يُسمعهم؛ فإذا ردّ أحدهم فليجهر بردّه ولا يقول المسلم: سلّمت فلم يردّوا عليّ، ثمَّ قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لا تغضبوا، ولا تُغضبوا، أفشوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثمَّ تلا عليهم قول الله عز وجل: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾..**»[2].

ب- المداراة والرفق: قال ﷺ: «**مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش**»[3].

ج- إدخال السرور على المؤمنين: قال ﷺ: «**إنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ إدخال السرور على المؤمنين**»[4].

د- صدق الحديث وأداء الأمانة: قال رسول الله ﷺ: «**أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وأدّاكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس**»[5]

(1) صحيح البخاري، ج9، كتاب الأحكام، حديث 2.
(2) محمد تقي المجلسي، شرح من لا يحضره الفقيه، ص129.
(3) الكافي، ج 2، 117.
(4) الكافي، 2، 189.
(5) تحف العقول: 32.

هـ- النهي عن إشاعة الفاحشة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

و- النهي عن الغيبة والنميمة: في الحديث: «**إياكم والغيبة؛ فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، إنّ الرجل قد يزني ويتوب، ويتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه**»[2].

وأخبر النبي ﷺ أنّ النمّام يُعذّب في قبره. وأخبر أنّ النمام لا يدخل الجنة يوم القيامة، فقد روي عن النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمّام**»[3].

ز- عدم الخضوع للشيطان: يودّ الشيطان إيقاع العداء والتشاحن بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[4]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يزالُ إبليس فرحاً ما اهتجر المُسلمانِ، فإذا التقيا اصطكّت رُكبتاهُ وتَخلّعت أوصاله، ونادى يا ويله ما لقي من الثُّبور**»[5].

ح- إصلاح ذات البين: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]، وقد أولت الأحاديث موضوع الإصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين أهمّية فائقة، إلى حدّ أنّ الإسلام لم يُجز التهاجر بين مسلم وآخر أكثر من ثلاثة أيام، كما ورد في بعض الروايات.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**صدقةٌ يُحبّها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارُبٌ بينهم إذا تباعدوا**»[7].

وأكّدت الأخبار في العديد من الموارد على تنمية الإحساس بالمسؤولية الإسلامية

(1) النور،19.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة،ج12، ص284، باب تحريم اغتياب المؤمن.

(3) وسائل الشيعة، ج9، ص139، باب تحريم الطعن في المؤمن.

(4) المائدة،91.

(5) الكافي، ج2، ص346، باب قطيعة الرحم.

(6) الحجرات، 10.

(7) الكافي، ج2، ص209، باب الإصلاح بين الناس.

المشتركة، والاهتمام بأمـر المسلمين، والمواساة بينهم، واتّحادهم مقابل الأعداء، مثـل: «**مـن أصبـح ولم يهتـم بأمـور المسلميـن فليـس بمسلـم، المسلم مـن سلم المسلمون من يده ولسانه، وهم يد واحدة على من سواهم**». وأمثالها من الروايات المشهورة التي تخلق هذه المشاعر الإنسانية.

5 - ثقافة المداراة، لا التملّق والمداهنة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال جَاءَ جبرائيل عليه السلام إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، رَبُّكَ يُقْرِئكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: دَارِ خَلْقِي**»[1].

أ- التملّق والمداهنة والمداراة:

التملّـق؛ هـو أن تُداهن وتتودّد الى صاحب نفوذ معيّن، إمّـا اتّقاءً لشرّه أو لتدعيم مكانتـك لديه أو اكتساب صلاحيات ومزايـا لا تستحقّها، وغالباً على حساب آخرين أكثـر استحقاقـاً، والتملّق ليس من أخلاق المؤمنين، كما ورد عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِـبٍ عليه السلام: «**لَيْسَ مِنْ أَخْـلاَقِ الْمُؤْمِنِينَ التَّمَلُّقُ وَالْحَسَـدُ...**»[2]. والمداهنة؛ أن يتنازلَ المرءُ عن شيءٍ من دينهِ ليحافظ بذلك على دنياهُ أو عرضه.

بينما مداراة الناس؛ هي حسن صحبتهم، وعدم مجابهتهم بما يكرهون، وحيث إنّ عقول الناس مختلفة ومتفاوتة فمداراة الناس أن تتعامل معهم على قدر عقولهم أيضاً. وهي من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول.

وهـي أيضاً درء الشر المفسد بالقول الليّن وترك الغلظة، والإعراض عن الشرّير إذا خيف شرّه، أو حصل منه ضرر أكبر ممّا هو متلبّس به. وكذلك السكوت عن بعض المخالفـات بقصد التصدّي لها في وقت أنسب، على أن لا يكون هذا السكوت مضرًّا بدين الشخص. والمداراة أمر مشروع؛ لأنّ فيه دفعًا للشرّ ومحافظة على الدين.

---

(1) الكافي، ج 2، باب المداراة، ح 2.

(2) مستدرك الوسائل، ج12، باب تحريم الحسد ووجوب اجتنابه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش...**»[1]. وهي من أحمد الخلال كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**المداراة أحمد الخلال**»[2].

ب - أهميّة المداراة في حياة الناس:

أودع الله تعالى في بني الإنسان تمايزاً وتبايناً في المزاج والطباع والفهم والإدراك، وبذلك سهّل على المتميّز منهم سلوك سبيل المداراة ولين الكلمة لتسهيل سبل المعاملة والعيش المتبادل. ولمّا كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس يطبعها أُسلوب التعاون والتآزر، فإنّ ممارسة «**المداراة**» أمر طبيعي يفرضه السلوك الأخلاقي الذي يمارسه الإنسان مع أخيه الإنسان. والمداراة -لغة- من درأ يدرأ، أي دفع، فكلّ ما يدفعه الإنسان عنه فقد درأه.

روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخُلُق يُداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل**»[3]. وعن رَسُولُ الله ﷺ قال: «**أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أَمَرَنِي بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ**»[4].

من خلال الروايات الشريفة تتضح لنا أهميّة «**المداراة**»، ففي الحديث الأول اعتبر الرسول الأكرم ﷺ المداراة من الخلق الذي يحتاجه المؤمن في تعامله مع أفراد مجتمعه، وهذا في غاية الأهمية؛ إذ وجود علاقة حميمة بين الناس يساهم في بناء مجتمع خال من العصبيات والمشاكل والاعتداء على الآخر، ويؤمّن فرصة السعادة لبنيه. وفي الحديث الثاني قرن بين مداراة الناس وأداء الفرائض، وهذا في غاية

(1) الكافي، ج2، باب المداراة، ح 5.
(2) غرر الحكم، 1313.
(3) الكافي، ج 2، باب المداراة، ح 1.
(4) الكافي، ج 2، باب المداراة، ح 4.

الأهميّة، فعبادة الله تعالى وأداء الفرائض له يلازمها مداراة الناس؛ إذ لا قيمة لعبادة وامتثال للفرائض دون الاهتمام بالخلق والناس ومراعاة حقوقهم. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**دارِ الناس تستمتع بإخائهم، والقهم بالبشر تُمِت أضغانهم**»[1].

ونظراً لتأثيرها المباشر على سلوك الإنسان وتفاصيل حياته اليومية الخاصة والعامة، وحاجته إليها في مختلف المواقع اعتبرت المداراة ثمرة العقل وعنوانه ورأس الحكمة كما جاء في مجموعة من الروايات. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ثمرة العقل مداراة الناس**»[2]، و«**عنوان العقل مداراة الناس**»[3]، «**ورأس الحكمة مداراة الناس**»[4].

ج- كيفية المداراة:

تتمظهر المداراة في سلوك الناس وتعاملاتهم اليومية في القول والفعل والتقرير، ويمكن جمع أغلب هذه المصاديق في العناوين الآتية:

- تكليم الناس على قدر عقولهم؛ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم**»[5].
- عدم تحميل الناس تكاليف وأعمالاً فوق طاقتهم، على قاعدة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[6].
- التدرّج معهم في هدايتهم للحق؛ قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[7].

(1) غرر الحكم، 5129.
(2) غرر الحكم، 4629.
(3) غرر الحكم،6321.
(4) غرر الحكم، 5252.
(5) الكافي، ج 1، ح 15.
(6) البقرة، 286.
(7) طه، 44.

- أن يتحدّث المكلّف بكلام مفهوم من قِبَل الجميع، بلا حاجة إلى استخدام العبارات الغامضة، والمصطلحات غير الواضحة؛ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الكلام ما زانه حُسنُ النظام، وفهمه الخاص والعام**»[1].
- ومن المداراة اختصار الكلام وعدم التطويل المؤدّي إلى الملل؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الكلام كالدواء، قليله ينفع وكثيره قاتل**»[2].
- من المداراة أيضًا كشف الحقائق في حال التشكيك بشخصك؛ فعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر: «**وإن ظنّت الرعية بك حيفاً، فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإنّ تلك رياضة منك لنفسك، ورفق منك برعيتك، وإعذار تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق**»[3].
- عدم المجادلة إلا بالتي هي أحسن، كما في قوله تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[4].
- عدم المحاسبة على كلّ كبيرة وصغيرة؛ فإنّ محاسبة الناس على كلّ صغيرة وكبيرة، نتيجتُه المتوقّعة أن لا يبقى أحدٌ لديك لا تحاسبه.
- إغماض العين عن بعض العيوب والأخطاء.
- التكلّم مع الشخص الذي تختلف معه بمودّة أو برفق، ودون انفعال وتشنّج، ضمان لك في أن تجتذبه إليك، وتكسبه إلى صفّك.

(1) غرر الحكم، 3304.
(2) غرر الحكم، 2182 .
(3) نهج البلاغة، من عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر.
(4) النحل، 125.

الخاتمة:

لا بـدّ مـن الإشارة أخيراً إلـى أنّ المسلمين لا يعانون مشكلـة أو خللاً في الأسس النظرية للوحدة، بل إنّ أهمّ ما تحتاجه وحدة المسلمين هو التوافق على منهج علمي جادٍ وجـريء ومشترك لقراءة المبادئ والأصول التي وقـع الاختلاف عليها؛ تمهيداً لنشـوء نـوع من التعـاون المنهجي والمعرفي الـذي إن توافق المسلمـون على قبوله، وتحكيمـه، لتمكّنـوا من حلّ نصـف المشكلة، ويبقـى القسم الآخر منهـا على عاتق العلمـاء والقادة المدعوّين لإغلاق كياناتهم المذهبية الضيّقة لحساب كيان الإسلام الكبيـر، واتّخاذ القرارات الجريئة بإعلان الموافقة على مبدأ الوحدة، وتحويلها إلى عنوان للتلاقي والدفاع عن المسلمين، وحماية الإسلام ومقدّساته.

8

بالأمانة يسلم المجتمع وينجو أفراده

مفاهيم محورية:

- الأمانة أصل في جميع الأديان.
- الأمانة من أوصاف المؤمن الأساسية.
- الأمانة في القرآن الكريم.
- آثار الأمانة الدنيوية والأخروية.
- تلازم الأمانة والصدق.
- طرق الوقاية والعلاج.

تصدير الموضوع:

ورد عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال للإمام علي عليه السلام: «**يـا أبـا الحَسَـنِ، أَدِّ الأَمـانَةَ لِلبِرِّ والفاجِرِ فِي ما قَلَّ وَجَلَّ، حتّى فِي الخَيطِ وَالمخِيطِ**»[1].

مقدمة:

الأمانـة من أهمّ الفضائـل الأخلاقية والقيـم الإسلامية والإنسانيـة، والتي وردت كثيراً في القـرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقد أولاها علماء الأخلاق أهميّة كبيرة علـى مستوى بنـاء الذات والشخصية. وعلى العكس من ذلـك (الخيانة) التي تعدّ من الذنـوب الكبيـرة والرذائل الأخلاقية في واقـع الإنسان وسلوكـه الاجتماعي. والأمانة هـي في الحقيقة رأس مال المجتمع الإنساني، والسبب في شدّ أواصر المجتمع وتقوية الروابـط بين الناس في نظامهم الاجتماعي وحياتهم الدنيوية؛ ولهذا شدّد أهل البيت عليهم السلام عليهـا كثيراً، وللإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجال تعبير عجيب، حيث يقـول لشيعتـه: «**عَلَيكُم بِـأَداءِ الأَمانَةِ، فَـوالَّذي بَعَثَ مُحَمَّـداً صلى الله عليه وآله وسلم بِالحَقِّ نَبِيَّـاً، لَو أَنَّ قاتِلَ أَبِي الحُسَينِ ابنِ عَلَيّ عليه السلام ائتَمَنَني عَلَى السَّيفِ الَّذي قَتَلَه بِهِ لأَدّيتُهُ إِلَيهِ**»[2].

والأمانـة من الصفات التي تربـط الإنسان من جهة مع الله تعالى، وكذلك تربطه

---

(1) بحار الأنوار، ج74، ص273.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج19، ص76، باب تحريم الخيانة، ح13.

مع غيره من أفراد البشر، ومن جهة ثالثة ترسم علاقته مع نفسه أيضاً ومع الطبيعة والبيئـة . بل إنّ جميع النعم المادية والمواهب المعنوية الإلهية على الإنسان في بدنه ونفسه هي في الحقيقة أمانات بيد الإنسان. في حين أنّ الخيانة بمثابة النار المحرقة التي تحرق جميع العلاقات الاجتماعية، وتؤدّي إلى الفوضى والفقر والشقاء، وبالتالي تخريب الأطر الإنسانية والحضارية في المجتمعات البشرية.

1 - الأمانة أصل في جميع الأديان:

روي عـن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قـال: «**إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَم يَبعَث نَبيّـاً إلاّ بِصدقِ الحَديثِ وَأداءِ الأَمانَـةِ إلـىَ البـرِّ وَالفاجِـرِ**»[1]. هـذا التعبير يوضّـح أنّ جميع الأديان السماويـة قـد جعلت الصدق والأمانة جزءاً مهمّاً من تعليماتهـا الدينية والإنسانية ومن الأصـول الثابتة فـي الأديان الإلهية. وقـد ورد ذكر الأمانة في القـرآن بالنسبة إلى ستة مـن الأنبياء الكبـار بعبـارة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وعـن النبي نـوح عليه السلام في سورة (الشعـراء، 107)، والنبي هود عليه السلام في سـورة (الشعراء، 125)، والنبي صالح عليه السلام في سورة (الشعراء، 143)، والنبي لوط عليه السلام في سورة (الشعراء، 162)، والنبي شعيب عليه السلام في سورة (الشعراء، 178)، والنبي موسى عليه السلام في سورة (الدخان، 18). وهذا يـدلّ دلالة واضحة على أهميّة هـذه الفضيلة الأخلاقية إلى جانـب مهمّة إبلاغ الرسالة الإلهية، وبدون ذلك لا يمكن لهؤلاء الأنبياء أن يكسبوا ثقة الناس ليعتمدوا على أقوالهم.

2 - الأمانة من أوصاف المؤمن الأساسية:

قـال تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[2]، تبيّن هذه الآية أوصاف المؤمنيـن الحقيقييـن، وتبشّرهـم بالفـلاح والنجـاة في الآخـرة، وتُحـدّد أوصاف الإنسـان الجميلة والفضائل الأخلاقية، ومنها الأمانة والوفاء بالعهد. والملفت للنظر أنّ (الأمانات) الواردة في هذه الآية ذكرت بصورة الجمع، وهي إشارة إلى أنّ الأمانة

(1) أصول الكافي، ج2، ص104.

(2) المؤمنون،8 – والمعا رج، 32.

لهـا أنـواع وأشكال مختلفة. والكثير من المفسّرين ذكـروا أنّ مفهوم الأمانة في هذه الآيـة لا يقتصر على الأمانـة، المالية بل يشمل الأمانات المعنويـة، كالقرآن الكريم والديـن الإلهي والعبـادات والوظائف الشرعية، وكذلك النعـم الإلهية المختلفة على الإنسان في حركة الحياة المادية والمعنوية.

ومـن هنا يتّضح أنّ المؤمن الواقعـي والإنسان الذي يتمتّع باللّياقة الكاملة هو الذي يتحـرّك في سلوكه من موقع مراعاة الأمانة بصورها المختلفة، ويهتم بالحفاظ عليها مـن موقع المسؤوليـة وأداء الوظيفة. أمّا عطف الوفاء بالعهد على حفظ الأمانة فيبيّن هـذه الحقيقة، وهي أنّ هذين المفهومين يعودان إلى جذر واحد ويشتركان في الأصل، لأنّ نقض العهد يعتبـر نوعاً من الخيانة فـي العهد والميثاق، ورعايـة الأمانة نوع من الوفاء بالعهد والميثاق أيضاً. وتعبير (راعون) مأخوذ من مادة (رعاية) وهي من مادة (رعـى) التي يراد بها رعي الأغنام ومراقبتها في عملية سوقها إلى حيث الماء والكلأ فـي الصحراء، وهذا إنّما يـدلّ على أنّ المقصود من هذه العبارة في الآية الكريمة هو أكثـر من أداء الأمانة في مفهومها الظاهـري، أي النظر والمحافظة والمراقبة للشيء مـن جميع الجوانـب. وبديهي أنّ الأمانة تارة تكون ذات بعـد فردي وتسلّم بيد شخص معيـن (كالأمانات المالية التـي يودعها الإنسان لدى الآخريـن)، وتارة أخرى لها بعد جماعي، مثل حفظ القرآن الكريم من التحريف والدفاع عن الإسلام والمحافظة على كيان الـدول الإسلامية، فهي كلّها أمانات وضعت بيـد المسلمين، وعليهم أن يتحرّكوا بصورة جماعية ويتكاتفوا فيما بينهم من أجل حفظ وصيانة هذه الأمانات الإلهية.

3 - الأمانة في القرآن الكريم:

ورد الحثّ على وجوب تأدية الأمانة بشكل صريح وواضح في آيتين:

الأولـى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1].

(1) النساء، 58.

تبيّـن هذه الآية أمرين إلهيين: الأول يتحدّث عـن أداء الأمانة، والثاني يتحدّث عـن الحكم بالعدل . ومع أنّ مسألـة الحكومة العادلة أو التحكيم الصحيح والسليم بيـن النـاس له مكانة ساميـة في نظر القـرآن الكريم، ولكن في الوقـت نفسه ورد الأمر بأداء الأمانة قبله، وهذا يبيّن الأهميّة العظيمة للأمانة، وأنّ لها مفهومًا عامًا يستوعب في مضمونه التحكيم بين الناس من موقع العدل، وأنّه أحد مصاديق أداء الأمانة؛ لأنّ الأمانـة بمفهومها العام تشمل جميع المقامات والمناصب الاجتماعية التـي تعتبـر أمانـات إلهيـة، وكذلك أمانـات بشرية من قبـل الناس بيـد أصحاب المناصب هذه.

والتأكيدات الواردة في ذيل الآية الشريفة تقرّر من جهة أنّ الأمر بالأمانة والعدالة مـا هي إلاّ موعظة إلهية حسنـة للناس، ومن جهة أخرى تحذّر الجميع بأنّ الله تعالى يراقـب أعمالكـم وسلوكياتكم، وهذا يعطي أهميّة مضاعفـة على هذين المفهومين، وهمـا رعايـة الأمانة والعدالـة. وللأمانة موارد وفـروع هي: الأمانـة الإلهية، وأمانة الناس، وأمانـة النفس. ومن جملتها أداء الواجبات وترك المحرمات فهي من موارد الأمانـات الإلهيـة. وتقسّم إلـى تقسيمات عديدة، منهـا أمانة اللسـان، أمانة العين والأذن (أي إنّ الإنسان يجب أن لا يتحرّك بالمعصية، والعين لا تنظر بنظر الخيانة، والأذن لا تسمـع الكلام المحرّم). أمّا الأمانات البشريـة فهي من قبيل الودائع التي يضعهـا بعض الناس لدى بعضهـم الآخر وكذلك ترك التطفيف فـي الميزان وترك الغيبـة ورعايـة العدالـة من جهة الحـكّام والأمراء وعـدم تحريك العـوام من موقع التعصّب للباطل وأمثال ذلك ...[1].

الثانيـة: قوله تعالـى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾[2]. تتعرّض هـذه الآيـة للأمانات والودائـع المالية لدى الناس، وتتحدّث في

(1) تفسير فخر الرازي، ج10، ص139 ذيل الآية المبحوثة.

(2) البقرة، 283.

سياقهـا عن لزوم تنظيم الوثائق والمستندات الحاجـة لهذه الودائع والأمانات. وفي هـذه السورة على الأمين حفظ الأمانـة وردّها إلى صاحبها بالموقع المناسب، وعليه أن يخـاف اللّه فيمـا لو حدّثته نفسـه بالخيانة. وإنّ تعبير الأمانة فـي الآية يمكن أن يكون إشارة إلى القروض المالية التي يقرضها المسلم لأخيه المسلم، من دون كتابة وثيقـة أو تأمين وديعة ورهن، وذلك بسبب الثقة المتبادلة بين الأفراد، أو أنّها إشارة إلـى الأموال التي توضع لدى الشخص بعنوان الرهـن، أو كليهما. وعلى كلّ حال فانّ الآية فيها دلالة واضحة على لزوم احترام الأمانة وأدائها في أيّة حالة.

إنّ الأمانة خلق محمود ومطلوب في أيّ مكان ومورد، ولكن بالنسبة إلى بيت المال ورؤوسـ الأموال المادية المتعلّقـة بالمجتمع لا بشخص معيّن فقـد ورد التأكيد على الأمانة فيها بشكل خاص في النصوص الدينية، والحكمة في ذلك واضحة، لأنّه أولاً: إنّ بعضـ النـاسـ يتصـوّر أنّ مثل هذه الأمـوال، بما أنّها لا تقع فـي دائرة الممتلكات لشخص معيّن بل هي ملك عموم الناس، فإنّهم أحرار في تصرفاتهم وتعاملهم بها.

وإذا تفشّـت الخيانـة بالنسبة إلى الأموال العامة وبيـت المال، فإنّ نظم المجتمع سـوف يتلاشى وينهار، فلا يرى مثل هذا المجتمع البشـري وجه السعادة أبداً. ومن أجـل درك أهميّة هذا الموضوع يكفـي مطالعة قصّة (الحديدة المحماة)، حيث ورد أنّ عقيل (رضـ) جاء إلى أخيـه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وطلب منه أن يزيده قليـلاً مـن حصّتـه وسهمه من بيت المـال، على أساسـ العلاقة الأخويـة بينه وبين الإمـام علي عليه السلام، فمـا كان من الإمام علـي عليه السلام إلاّ أن أحمى لـه حديدة وقرّبها منـه، فصرخ عقيل من حرارتها، فقال له الإمام عليه السلام: «**يا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَة أَحماها إنسانُها لِلَعبِهِ، وَتَجرُّنِي إلى نار سَجَرَها جَبارُها لِغَضَبِهِ، أَتَئِنُّ مِنْ الأَذى وَلا أَئِنُّ مِنْ لَظى!**»[1].

(1) نهج البلاغة، الخطبة 224.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام عندما استلم الخلافة، بالنسبة إلى عطايا عثمان من بيت المال إلى أقربائه وذويه، حيث عزم الإمام علي عليه السلام على ردّها جميعاً إلى بيت المال: «**وَاللهِ، لَو وَجَدته قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّساءُ ومُلِكَ بِهِ الإِماءُ لَرَدَدتُهُ، فَإِنَّ فِي العَدلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيهِ العَدلُ فَالجَورُ عليه أَضيَقُ**»[1].

4 - الأمانة والخيانة في السنة الشريفة:

أمّا ما ورد من الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّـه يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة، حيث وردت الأمانة تارة بعنوان أنّها من الأصول والمبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأديان السماوية، وتارة أخرى بعنوان أنّها علامة للإيمـان، وثالثة بعنوان أنّها سبب نيل الرزق والثروة والثقة والاعتماد لدى النـاس وسلامة الدين والدنيا والغنى وعدم الفقر وأمثال ذلك؛ ففي حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا إِيمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ**»[2].

وورد عـن رسول الله صلى الله عليه وآله تعبيـر شديد، حيث قال: «**لا تَنظُروا إلى كَثْرَةِ صَلاتِهِم وَصَومِهِم، وَكَثْـرَةِ الحَـجِّ وَالمعرُوفِ، وَطَنطَنَتِهِم بِاللَّيلِ، وَلَكِنْ انظُـرُوا إلى صِدقِ الحَدِيثِ وَأَداءِ الأَمانَةِ**»[3].

والهدف من هذا التعبير ليس بهدف الإشارة أنّ هؤلاء لا يهتمّون بصلاتهم وصومهم أو يستخفّـون بحجّهم وإنفاقهم، بل الهدف هو القول إنّ هذه الأمور ليست هي العلامة الوحيدة لإيمان الفرد، بل هناك ركنان أساسان لدين الشخص، أي الصدق والأمانة.

5 - آثار الأمانة الدنيوية والأخروية:

لقـد بيّنت الروايات الآثار والنتائج الدنيويـة والأخروية المهمّة للأمانة والخيانة؛ فقـد ورد عـن الإمام علـي عليه السلام أنّه قـال: «**الأمانـة تَجُـرُّ الـرِّزقَ، وَالخِيانَـةُ تَجُرُّ**

(1) نهج البلاغة، الخطبة15.

(2) بحار الأنوار، ج66، ص 121.

(3) بحار الأنوار، ج72، ص114، ح5.

الفَقرَ»[1]. وورد شبيه لهذا الحديث- مع اختلاف يسير- عن لقمان الحكيم حيث قال: «**يا بُنَيَّ، أَدِّ الأَمانَةَ تَسلمُ لَكَ الدُّنيا وَآخِرَتُكَ، وَكُنْ أَميناً تَكُن غَنِيّاً**»[2].

وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لا تَزَالُ أُمّتي بِخَير ما تَحابُّوا وَتَهادُوا وَأَدُّوا الأَمانَةَ وَاجتَنبُوا الحَرامَ وَوَقَّرُوا الضَّيفَ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتوا الزَّكاةَ، فإذا لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ، ابتلوا بِالقَحطِ وَالسِّنِينَ**»[3].

وإذا أردنا أن نتعمّق في خطر الخيانة وشؤمها، فلنستمع إلى الرسول الأكرم ﷺ في حديثه عن بعض عناصر الشر وعوامل الانحراف، حيث يقول: «**أَربَعٌ لا تَدخُل بَيتاً واحُدَة مِنهُنَّ إلاّ خَرَبَ وَلَم يَعمُرْ بِالبَرَكَة: الخِيانَة والسَّرقَةُ وَشُربُ الخَمرِ والزِّنا**»[4]. ومن المعلوم أنّ المجتمع الذي يعيش أحد هذه العناصر الأربعة أو كلّها فإنّه يكون مصداقاً لهذا الحكم النبوي، وسوف يخلو من البركة، وبالتالي يُصيبه الدمار والاندثار.

6 - تلازم الأمانة والصدق:

الأمانة تدعو الإنسان إلى صدق الحديث، كما أنّ صدق الحديث يدعو الإنسان إلى الأمانة في الجهة المقابلة؛ لأنّ صدق الحديث نوع من الأمانة في القول، والأمانة نوع من الصدق في العمل، وعلى هذا الأساس فإنّ هاتين الصفتين ترتبطان بجذر مشترك، وتعبّران عن وجهين لعملة واحدة، ولذلك ورد في الأحاديث الإسلامية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**الأمانَةُ تُؤدِّي إلى الصِّدقِ**»[5]، وفي حديث آخر عن هذا الإمام عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**إذا قَويَتْ الأَمانَةُ كَثُرَ الصّدقُ**»[6].

---

(1) بحار الأنوار، ج78، ص60.

(2) بحار الأنوار، ج72، ص117.

(3) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2، ص32.

(4) بحار الأنوار، ج76، ص125.

(5) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص49.

(6) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 134.

7 - طرق الوقاية والعلاج:

إنّ تعميق روح الأمانة في أفراد المجتمع والوقاية من الخيانة لا يتسنّى إلاّ في ظلّ التقوى والإيمان والالتزام الديني والأخلاقي؛ لأنّ أحد جذور الخيانة هو الشرك وعدم الاعتقاد الكامل بقدرة الله تعالى ورازقيته. ولهذا فالأشخاص الذين يعيشون ضعف الإيمان، ويتصوّرون أنّهم سوف يعيشون الفقر في حالة تحلّيهم بالأمانة والصدق، وأنّهم سوف لا يحصلون على ما يحتاجونه إلاّ بواسطة الخيانة، يكبّلون أنفسهم بطوق الخيانة، ولكن عندما يتحرّكون من موقع تقوية دعائم الإيمان في قلوبهم وتعميق حالة التوكّل والاعتماد على الله تعالى والثقة بوعده، فإنّ ذلك يتسبّب في تصحيح مسارهم في عملية الوصول وتحصيل مواهب الحياة.

ومن جهة ثانية، فإنّ من الأسباب والعوامل المهمّة في الوقاية من التورّط بالخيانة هو التفكّر والتأمل في عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، وما يترتب عليها من فضيحة وحرمان وزوال الثقة وماء الوجه أمام الخلق والخالق، وبالتالي الابتلاء بالفقر المزمن الذي سعى إلى الفرار منه بارتكاب الخيانة. ورد في نصيحة لقمان لابنه حيث يقول: «**يا بُنَيَّ أَدِّ الأَمانَةَ تَسلمُ لَكَ الدُّنيا وَآخِرَتُكَ، وَكُنْ أَمِيناً تَكُن غَنِيّاً**»[1].

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص156، باب استحباب حسن الخلق مع الناس، حديث33.

9

قيمة التكافل الاجتماعي في الإسلام

مفاهيم محورية:

- فلسفة التكافل الاجتماعي في الإسلام.
- المسؤولية تكليف عام.
- أنواع التكافل الاجتماعي.
- الفئات التي تستحقّ التكافل.
- التكافل مسؤولية المجتمع.

تصدير الموضوع:

روي عـن أبي عبد الله عليه السلام: «**والله، لا يكـون المؤمن مؤمناً حتى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه**»[1].

مقدمة:

التكافل الاجتماعـي جزء من عقيدة المسلم والتزامه الديني، وهو نظام أخلاقي يقـوم على الحـبّ والإيثار ويقظـة الضمير ومراقبـة الله عزَّ وجـلّ، ولا يقتصر على حفـظ حقوق الإنسان المادية، بل يشمل أيضاً المعنوية؛ وغايته التوفيق بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد.

وقد عُني القرآن بالتكافـل ليكون نظاماً لتربية روح الفرد، وضميره، وشخصيته، وسلوكـه الاجتماعـي، وليكـون نظاماً لتكويـن الأسـرة وتنظيمها وتكافلهـا، ونظاماً للعلاقـات الاجتماعية. ومن هنا فإنّ مدلولات البـرّ، والإحسان، والصدقة، تتضاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل.

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

(1) النوري، مستدرك الوسائل، ج9، باب وجوب أداء حق المؤمن.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[1].

وقال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

1 - فلسفة التكافل الاجتماعي في الإسلام:

إنّ الإيمان ليس قضية فلسفية مجرّدة، أو مجرّد علاقة بين الفرد وربّه بعيداً عن توجيه أنشطته، وممارسته، وعلاقاته اليومية؛ ففي الإيمان يتمّ ربط الفكر بالفعل، والنية بالحركة والسلوك القويم. وقد نفى الرسول ﷺ كمال الإيمان عن الذي يبيت شبعان وجاره جائع، وهو يعلم: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع، وهو يعلم**»[3].

وقد عدّ القرآن الإمساك وعدم الإنفاق سبيلاً للتهلكة، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

كما عدّ الكنز وحجب المال عن وظيفته الاجتماعية، مدعاةً للعذاب الأليم. وليس هذا فحسب، بل رتَّب المسؤولية التقصيرية أيضًا على الإنسان الذي يعطِّل سبل الكسب وفرص العمل مهما ادّعى الصلاح. وجعل دخول النار في حبس هرّة عن طعامها، بل ودخول الجنة في إعانة الحيوان لسدِّ حاجته.

ولقد عُني القرآن بالتكافل ليكون نظاماً لتربية روح الفرد، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، وليكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية، بما في ذلك العلاقة التي تربط الفرد بالدولة، وفي النهاية نظاماً للمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي. ومن

(1) البقرة، 215.

(2) البقرة، 195. ويراجع سورة البقرة:53، و261، 262، 267.

(3) الكليني، الكافي، ج2، ص 668.

(4) البقرة، 195.

هنا، فـإنّ مدلولات البر، والإحسان، والصدقة، تتضـاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل.

ولقـد وضـع القـرآن أسساً نفسيـةً وأخـرى مادية، لإقامـة التكافـل الاقتصادي والاجتماعـي بيـن أفـراد المجتمـع الإسلامي. ولعـلَّ من أهـمِّ الأسـس النفسية هو إقامة العلاقات المادية والمعنويـة على أساس الأخوّة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]. وربـط الإيمان باستشعار حقوق الأخ، كمـا رتَّب على رابطة الأخوّة الحب؛ فـلا يؤمـن الإنسان المسلـم، ولا ينجو بإيمانه، مـا لم يحبّ لأخيه مـا يحبّ لنفسه، ويعِشـ معه كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً. وجعـل العدل وحفظ الحقوق من قيم الدين الأساسيـة، بل نُدب إلى عـدم الاقتصار على العدل وهو إحقـاق الحق، أو إعطاء كلِّ إنسـان حقّـه من دون ظلـم، وإنّما الارتقاء إلـى الإحسان، وهو التنـازل له عن بعض الحقـوق. ومـن الأسس النفسيـة أيضاً الإيثار، وهـو عكس الأثرة والأنانيـة. والإيثار تفضيل الآخر على النفس، من أجل إشاعة جوّ العفو والرحمة، وهي الغاية التي جاءت من أجلها الشريعة.

2 - المسؤولية تكليف عام:

لقد وضع القرآن أُسساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكلِّ طرف حقوقه وواجباتـه للنهوض من أجـل إتمام مكارم الأخلاق، وإشاعة الـودّ والحبّ والوئام في ربـوع المجتمع الإنساني. وفيمـا يلي نستعرض جملة من حقـوق المجتمع على الفرد والأسرة، الخلية الاجتماعية الأولى، وأهم تلك الحقوق هو التعاون على البرّ والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2].

وأمر القرآن الكريم بالإحسان إلى أفراد المجتمع: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

(1) الحجرات، 10.

(2) المائدة، 2.

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[1].

وقد جعل الإسلام كلّ مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ: « **كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[2]، ودعا ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين، ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، فقال: «**من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين، فليس بمسلم**»[3].

ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق والاندكاك بجماعة المسلمين، فقال: «**من فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه**»[4].

3 - أنواع التكافل الاجتماعي:

أ- التكافل الأدبي:

وهو شعور كلّ فرد نحو إخوانه في الدين بمشاعر الحبّ والعطف والشفقة وحسن المعاملة، ويتعاون معهم في سرّاء الحياة وضرّائها، ويفرح لفرحهم، ويأسى لمصابهم، ويتمنّى لهم الخير، ويكره أن ينزل الشرّ بهم، وقد دلّ على ذلك المعنى قول رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[5].

ب- التكافل العلمي:

بيّن النبي ﷺ ثواب مُعلِّم الناس، فقال ﷺ: «**إنّه ليستغفر للعالِم مَنْ في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر**»[6].

وهذا نوع من التكافل العلمي، الذي يعني أن يعلّم العالم الجاهل، وعلى الجاهل

(1) النساء، 36.
(2) بحار الأنوار، ج72، ص38.
(3) الكافي، 2، 163.
(4) الكافي: 1، 405.
(5) الشهيد الثاني، منية المريد، ص19.
(6) مسند أحمد، ج5، ص196.

أن يتعلّم من العالم.

فـإذا كان من حقّ أيّ مجتمع أن يسمّي نفسه مجتمعًا مثقّفًا، فمجتمع الإسلام هو أول مـن يطلـق عليه هذا الوصف؛ وذلـك لتكافل أفراده جميعاً للقيـام بواجب العلم وإزالة آثار الجهل.

ج- التكافل العبادي:

في الإسلام شعائر وعبـادات يجب أن يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها، كصلاة الجنـازة، فإنّ المسلم إذا مات وجب على المجتمع تكفينه والصلاة عليه ودفنه، فإنْ لـم يقم بذلـك أحد أثم المجتمع، وهو مـا يسمى فرض الكفاية فـي العبادات، ومثل ذلـك إقامة الجمعـة، وإقامة صلاة الجماعة فـي الأوقات الخمسـة، وغير ذلك من العبادات التي تقام جماعةً.

د- التكافل المعيشي:

يُقصـد به إلزام المجتمع بكفالة ورعاية أحـوال الفقراء والمرضى والمحتاجين، والاهتمـام بمعيشتهم من طعام وكسـاء ومسكن وحاجات اجتماعية، لا يستغني عنها أيّ إنسان في حياته.

وسمـي هذا النوع من التكافل بالمعيشي لأنّه يتعلّق بكفالة المجتمع لمعيشة هؤلاء معيشـة كريمـة، تليـق بكرامة الإنسـان. وذكر الفقهـاء العديد من الفئـات التي لها الأولوية في التكافل المعيشي.

4 - الفئات التي تستحقّ التكافل:

أ- اليتيم:

اهتـم الإسلام باليتيم اهتماماً بالغاً، من ناحيـة تربيته، ومعاملته والحرص على أمواله وضمان معيشته، حتى ينشأ عضواً بارزاً في المجتمع، ويقوم بمسؤولياته على أحسن وجه. فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم، عدم قهره، والحطّ من كرامته، والغضّ من شأنه، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾[1].

كما أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على أموال اليتيم، وعدم الاقتراب منها إلا بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

كمـا نهى عـن أكل أمـوال اليتيم ظلمـاً، قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[3] .

ومـن اهتمام الرسول ﷺ بشأن اليتيـم، أنّه رغَّبَ في كفالته، والاهتمام برعايته، وبشّر الأوصياء أنّهم سيكونون معه بالجنة.

قـال عليه السلام: «**أنـا وكافـل اليتيـم كهاتين فـي الجنـة**»[4]، وأشـار بإصبعيه؛ يعني السبابة والوسطى.

ورعاية اليتيم وكفالتـه واجبة في الأصل على ذوي الأرحام والأقرباء، ويجب على المسلميـن أن يتعاونـوا فيما بينهم لإقامـة دُور لرعاية الأيتام، لتشـرف المؤسسات

(1) الماعون، 1–2.

(2) الأنعام، 152.

(3) النساء، 10.

(4) مستدرك الوسائل، ج 474، 2، باب استحباب مسح رأس اليتيم.

الإسلامية على تربيتهم والإنفاق عليهم، ويكون ذلك أبعد لهم عن الانحراف والتشرّد والضياع.

وتساهم كفالة اليتيم في بناء مجتمعٍ سليم خالٍ من الحقد والكراهية، وتسودُهُ روح المحبّة والودّ.

ب- أصحاب الإعاقات:

قد يتعرّض الإنسان لعاهة من العاهات، وربّما لظروف تتعلّق بالحمل والولادة، يولد بعاهة مستديمة كفقد البصر أو السمع.

فيجب أن تتظافر جهود المجتمع في تحقيق التكافل والعيش الأفضل لمثل هؤلاء المحتاجين، حتى يشعروا بالرحمة والتعاون والعطف، وأنّهم محلّ العناية والاهتمام الكامل في نظر الناس والمجتمع على السواء.

ج- رعاية المنكوبين والمكروبين:

حثّت الشريعة الإسلامية على إغاثة المنكوب، والتفريج عن المكروب، والنصوص القرآنية في ذلك كثيرة، والأحاديث النبوية عديدة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**من نفّس عن مسلم كربةً من كُرَب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...**»[2]، ولا شك أن المجتمع المسلم حين يتربى على هذه المعاني، فإنّ أفراده ينطلقون في مضمار التعاون الكامل، والتكافل الشامل، والإيثار الكريم، ويأخذون بيد من إصابته مصيبة في ماله ونفسه.

(1) البقرة، 280 .

(2) شرح أصول الكافي، المازندراني، ج2، ص194.

5 - التكافل مسؤولية المجتمع:

لا يمكـن لدولـة أن تقوم بواجبها نحـو تحقيق التكافل الاجتماعـي، إلا إذا ساهم معهـا أبناء المجتمـع في بناء العدل الاجتماعي والبذل والإنفـاق في سبيل الله. وقد قسّمت الشريعة مسؤولية المجتمع في تحقيق التكافل إلى قسمين:

القسم الأول: يُطالب به الأفراد على سبيل الوجوب والإلزام.

القسم الثاني: يُطالب به الأفراد على سبيل التطوّع والاستحباب.

أولاً: ما كان على سبيل الوجوب والإلزام، ويشمل أهمّ الأمور الآتية:

أ- **فريضتا الخمس والزكاة:** وقد ثبتت فرضيتهما ووجوبهما في الكتاب والسنّة، ولا يختلف اثنان أنّ مبدأ الخمس والزكاة حين طبّق في العصور الإسلامية السابقة، نجح في تحقيق وإقامة التكافل الاجتماعي، ومحاربة الفقر، وعوّد المؤمنين على البذل والعطاء، والإنفاق في سبيل الله.

ب- **النـذور والكفـارات:** من وسائل التكافل ما ينذره المسلم من مال ونحوه، والوفاء بالنذر واجب بنصّ الكتاب وعند جميع فقهاء المسلمين.

ومـن وسائل التكافل أيضاً الكفارات، وهي مـا يوجبه الله على المسلم من إطعام مساكيـن أو التصـدّق على الفقراء، إذا عمل مخالفةً شرعية فـي الصوم أو الحج أو يمين... تكفيراً لخطئه، وعقوبةً على مخالفته.

ج- **صدقة الفطر:** وهي واجبة على كلّ مسلم، وعلى كلّ من تلزمه نفقته، من زوجة وأولاد وخـادم وأبويـن، وجعلت للفقراء والمساكين والأيتـام والمشاريع الخيرية ونحوها...

ثانياً: ما كان على سبيل التطوّع والاستحباب، ويشمل أمور كثيرة، منها:

أ- **الوقـف الخيـري:** وهو من الصدقات المستحبّـة، والتي يستمرّ خيرها، ويتجدّد

ثوابهـا إلى ما بعد الممات، وهو يشمل جميع جهات الخير، من مساجد ومدارس ودور للأيتام والعجزة ومستشفيات ومعاهد وغيرها، والأصل في ذلك قول رسول اللّه ﷺ: «**إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

ب- **الوصية**: وهو أن يوصي المسلم قبل موته بجزء من ماله لجهات البرّ والخير.

ج- **العارية**: وهو الانتفاع بحوائج الغير مجاناً، كأن يستعير الرجل من جاره متاعاً، ثمّ يردّه له بعد الانتفاع به دون مقابل، وهي من أعمال الخير والإنسانية؛ لأنّ الناس لا غنى لهم عن الاستعانة ببعضهم، والتعاون فيما بينهم.

د- **الهدية أو الهبة**: من وسائل التكافل الاجتماعي، والتي حثّ الإسلام عليها الهدية أو الهبة، وهي من العوامل التي تقوّي روابط المحبّة والودِّ والألفة بين فئات المجتمع، كما ورد في العديد من الروايات.

(1) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج6، ص137.

10

الواجبات
والحقوق الاجتماعية

مفاهيم محورية:

- المسؤولية تكليف عام.
- حقوق المجتمع في القرآن الكريم.
- مبادئ الحقوق في المجتمع الإسلامي.
- الواجبات والحقوق المتبادلة.
- الآثار الإيجابية لمراعاة حقوق المجتمع.

تصدير الموضوع:

روي عـن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «**مثل المؤمنين فـي توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو منه، تداعى سائره بالحمى والسهر**» [1].

مقدمة:

الإسـلام ليس منهـج اعتقاد وإيمان وشعور في القلـب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانيـة واقعية، يتحوّل فيها الاعتقاد والإيمان إلى ممارسة سلوكية في جميع جوانب الحياة لتقـوم العلاقات على التراحم والتكافل والتناصـح، فتكون الأمانة والسماحة والمودّة والإحسان والعدل هي القاعدة الأساس التي تنبثق منها العلاقات الاجتماعية، وهـذا مـا يلزم الأفراد بالكثير مـن الواجبات تجاه بعضهم كأفـراد، وتجاه المجتمع ككيان اجتماعي يحتضن جميع أفراده.

1 - المسؤولية تكليف عام:

جعـل الإسلام كل مسلم مسؤولاً فـي بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي مـن موقعه، ودعا النبـي ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلميـن ومشاركتهم في آمالهم

(1) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج3، ص357.

وآلامهم، فقال: «**من أصبح لا يهتمّ بأُمور المسلمين، فليس بمسلم**»[1]، ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق والاندكاك بجماعة المسلمين، فقال: «**من فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه**»[2].

وهكذا حثّ أهل البيت عليهم السلام على استخدام الأساليب المؤدّية إلى الألفة والمحبّة وطيب الكلام، ونبذ الأساليب المؤدّية إلى المقاطعة والتباغض. وقد وضع الإسلام منهاجاً متكاملاً في العلاقات قائماً على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع فرداً فرداً وجماعة جماعة، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[3]. فالتقيّد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان من التقصير في حقوق المجتمع، ويدفعه للعمل الدؤوب لتحقيق حقوق الآخرين وأداء مسؤوليته على أحسن وجه أراده الله تعالى منه.

2 - حقوق المجتمع في القرآن الكريم:

لقد وضع القرآن الكريم أُسساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكلٍّ طرف حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق، وإشاعة الحبّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني، وفيما يأتي نستعرض جملة من حقوق المجتمع على الفرد والأُسرة، وأهمّ تلك الحقوق:

- التعاون على البرّ والتقوى، لا الإثم والعدوان: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[4].
- الإحسان: أمر القرآن الكريم بالإحسان إلى أفراد المجتمع: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

(1) الكليني، الكافي، 2، ص163.
(2) الكافي، ج1، ص405.
(3) النحل، 90.
(4) المائدة، 2.

وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[1].

- النصرة: أقرّ القرآن الحكيم وأكدّ على حقّ النصرة: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾[2].
- الوحدة: وأمر بالاعتصام بحبل الله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3].
- الإصلاح: وأمر بالسعي للإصلاح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[4].
- العفو: وأمر بالعفو والمسامحة: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[5].
- الوفاء بالعقود: وأمر بالوفاء بالعقود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[6].
- أداء الأمانة: وأمر بأداء الأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[7].
- التكافل والتواصي: وأمر بأداء حقّ الفقراء والمساكين وابن السبيل وعدم تبديد الثروة بالتبذير والإسراف: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[8]. وأمر بالتواصي بالحقّ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[9]
- حفظ الحرمات: وحرّم الدخول إلى بيوت الآخرين دون إذن منهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[10].

(1) النساء، 36.
(2) الأنفال، 72.
(3) آل عمران، 103
(4) الحجرات، 10.
(5) الأعراف، 199.
(6) المائدة، 1.
(7) الإسراء، 26.
(8) النساء، 58.
(9) العصر، 3.
(10) النور، 27.

- النهي عن كل ما يفسد الأواصر الاجتماعية: فنهى القرآن الكريم عن الاعتداء على الآخرين، بالظلم والقتل وغصب الأموال والممتلكات والاعتداء على الأعراض: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]
- ونهى عن بخس الناس حقوقهم: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾[2].
- وحرّم ما يؤدّي إلى قطع الأواصر الاجتماعية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[3].
- وحرّم الظن الآثم والتجسّس على الناس واغتيابهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[4].
- وحرّم إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

وهكذا يوفّر القرآن في هذه اللائحة الطويلة، ما يضمن توفير الحصانة للمجتمع البشري، وهو يضع النظام الدقيق والشامل، من أحكام وقيم أخلاقية، ليكون الأمان والتآلف والتعايش والتكافل معالم أصيلة في الحياة الاجتماعية.

3 - مبادئ الحقوق في المجتمع الإسلامي:

إنّ حقوق الإنسان في الإسلام منحة إلهية منحها الله لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمنّ بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قرّرها الله للإنسان. ومن خصائص ومميّزات الحقوق في الإسلام أنّها حقوق شاملة لكلّ أنواع الحقوق السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... كما إنّ هذه

(1) المائدة، 87.
(2) هود، 85.
(3) الحجرات، 11.
(4) الحجرات، 12.
(5) النور، 19.

الحقـوق عامة لكل الأفراد دونما تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة. ومن خصائص هذه الحقوق أيضاً أنّها كاملة وغير قابلة للإلغاء؛ لأنّها جزء من الواجبات الاجتماعية وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

ويمكن إيجاز هذه المبادئ بالآتي:

أولاً: الحرّية: لقد ولد الإنسان حرًا وهكذا أراده الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الروح الإرادية التي فطر الإنسان عليها في أصل خلقته بقوله: «**ثمّ فيها نفخ من روحه، فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفِكَرٍ يتصرف بها وجوارح يخترمها وأدوات يقلبها ومعرفةٍ يُفرّق بها بين الحق والباطل**»[2].

ثانياً: المساواة: المساواة في الرؤية الإسلامية هـي تماثل كامل أمام القانون، وتكافـؤ كامل إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميـع، قـال تعالـى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[4].

وورد عـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**كلّكم لآدم، وآدم من تـراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى...** »[5].

وروي عـن الإمام علي بن أبـي طالب عليه السلام قوله: «**الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحقّ منه**» [6].

أمّا المساواة أمـام القانون فقد ورد بشأنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الناس سواسية**

(1) الإنسان،3.
(2) نهج البلاغة، الخطبة 1.
(3) الحجرات، 13.
(4) الإسراء، 70.
(5) بحار الأنوار، ج73،ص350.
(6) نهج البلاغة، الخطبة، 37.

كأسنان المشط»، وقول الإمام علي عليه السلام: «**والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم، كأنّما سُوِّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليّ القول مردّداً، فأصغيت إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني...** »[1].

ثالثا: الأخوة: أما الأخوة فلم تكن غائبة عن الإسلام، بل كانت أوّل خطوة قام بها حامل لوائه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين وصل المدينة وأقام الدولة في يثرب، كما صدع القرآن الكريم بالأخوة قائلاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾، وأكّد عليها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر حين ولّاه مصر، حيث قال: «**الناس صنفان؛ إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**»[2].

4 - الواجبات والحقوق المتبادلة:

سأل الإمام الصادق عليه السلام أحدُ أصحابه المعلّى بن خنيس عن حقوق الإخوان، فقال أبو عبد الله: «**له سبع حقوق واجبات، ما منهنّ حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب.**

قلت جعلت فداك، وما هي؟

قال: يا معلّى، إنّي عليك شفيق ، أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل.

قلت: لا قوّة إلا بالله.

وحينئذ ذكر الإمام الحقوق السبعة بعد أن قال عن الأول منها: «**أيسر حقّ منها، أن تُحبّ له كما تُحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك**». والحقوق السبعة التي أوضحها الإمام عليه السلام هي:

- أن تُحبّ لأخيك المسلم ما تُحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

(1) نهج البلاغة، الخطبة، 224.

(2) نهج البلاغة، من عهده لمالك الأشتر، ج3، ص84.

- أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره.
- تُعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، ورجلك.
- أن تكون عينه، ودليله، ومرآته.
- أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.
- أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتُمهّد فراشه.
- أن تبرّ قسمه، وتُجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت له حاجة تُبادره إلى قضائها، ولا تُلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة.

ثم ختم عليه السلام كلامه بقوله: «**فإذا فعلت ذلك، وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك**»[1].

5 - الآثار الإيجابية لمراعاة حقوق المجتمع:

تحدّثت الروايات الكثيرة عن ثواب من راعى حقوق أفراد المجتمع، منها:

أ- **الفوز بالجنة:** روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ردّ عن عرض أخيه المسلم، وجبت له الجنة البتة**»[2].

روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر**»[3].

ب- **النجاة من العذاب:** وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**من كفّ عن أعراض الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة، ومن كفّ غضبه عن الناس أقاله الله**

(1) الكافي،ج2 ص169، باب حق المؤمن على أخيه.
(2) وسائل الشيعة،ج12، ص292، باب وجوب رد غيبة المؤمن.
(3) ثواب الأعمال، 164.

نفسه يوم القيامة»[1].

ج- **انتشار الرحمة والتراحم بين الناس:** الرحمة لغة: من رَحِمَ رحمة ومرحمة، أي رقّ له وشفق عليه وغفر له، وتراحم القوم، أي رحم بعضهم بعضاً، والرحمة تعني رقّة القلب، والعطف يقتضي المغفرة والإحسان.

و«الرحمة» عند البشر انفعال خاص يعرض على القلب عند مشاهدة النقص أو الحاجة، فيندفع الإنسان إلى رفعه. فعندما يُشاهد الإنسان يتيماً يرتجف من البرد أو فقيراً أضناه الجوع، أو مظلوماً يتلوّى تحت سياط الظالمين، تعرض عليه حالة الرقّة، فيندفع لتغيير هذا الواقع.

أمّا الرحمة الإلهية فهي نوع العطاء والإفاضة الدائمين اللذين يفيضهما الله على العباد والمخلوقات، فالله سبحانه ليس محلّاً للحوادث -كما هو حال البشر-؛ ولهذا عندما تُطلق هذه الكلمة على الله تعالى يُراد بها العطاء والإفاضة لرفع الحاجة أو النقص ونحوه.

روي عن أمير المؤمنين: «**رحيم لا يوصف بالرقّة**»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرحمة وما يحدث لنا، منها شفقة ومنها جود، وإنّ رحمة الله ثوابه لخلقه، وللرحمة من العباد شيئان، أحدهما يحدث في القلب: الرأفة والرّقة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء، والآخر ما يحدث منّا بعد الرأفة واللطف على المرحوم والمعرفة منّا بما نزل به. وقد يقول القائل: (انظر إلى رحمة فلان)، وإنّما يريد الفعل الذي حدث عن الرقّة التي في قلب فلان، وإنّما يضاف إلى الله عزّ وجلّ من فعل ما حدث عنّا من هذه الأشياء، وأما المعنى الذي في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه، فهو رحيم لا رحمة رقّة**»[3].

---

(1) وسائل الشيعة،ج12، ص292، باب تحريم الطعن على المؤمن.

(2) الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج 1، ص 24.

(3) بحار الأنوار، ج 3، ص 196.

11

التربية الاجتماعيّة للأبناء

مفاهيم محورية:

- أهمّيّة التربية الاجتماعيّة للأبناء.
- التربية على الوقوف بوجه الظلم والظالمين.
- التربية على الإحسان إلى الوالدين.
- التربية على الصلة الإيجابية بالأقارب والأرحام.
- التربية على العلاقة الطيّبة مع الجيران.
- التربية على التعامل الإيجابي مع المؤمنين.
- التربية على وجوب مراعاة النظام العامّ.

تصدير الموضوع:

جاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «**يا علي حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً وحق الوالد على ولده أن لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس أمامه، ولا يدخل معه في الحمام... يا علي لعن اللّه والدين حملا ولدهما على عقوقهما، يا علي يلزم الوالدين من عقوق ولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما، يا علي رحم اللّه والدين حملا ولدهما على برّهما**».[1]

مقدمة:

إنّ الحاجة إلى الغير والتأثّر به تبدأ مع الإنسان منذ أن يكون جنيناً إلى أن يموت. فالإنسان يكتسب الوجود بتأثير من والديه، ثمّ يتأثّر بأخلاقهما وأخلاق أخوته وأقربائه وجيرانه وأصدقائه، ثمّ يدخل في خضم المجتمع؛ فيتأثّر بالمدرسة، والمعلّم، وسائر أعضاء المجتمع؛ بحسب درجة ارتباطه بهم.

فجميع الأعمال والسلوكيّات التي تصدر منّا في مراحل الصغر والصبا، وحتى مرحلة الشباب والكبر أيضاً برغم ما لنا من استقلال في الفكر والإرادة والعمل؛ تتأثّر لا محالة بالمجتمع والحياة الاجتماعيّة. والإنسان بهدف تلبية حاجته الأساسيّة

---

(1) وسائل الشيعة، ج21، ص289.

والضروريــة مضطرّ إلــى الحياة ضمن المجتمع، كمــا وأنّ كثيراً مــن أبعاد الإنسان الوجودية لن تزدهر إلا في ظلّ هذه الحياة الاجتماعيّة.

1 - أهمّيّة التربية الاجتماعيّة للأبناء:

لأنّ الإنســان يسعــى فــي الحياة لضمــان السعادة لنفســه، ويحــاول بشتّى السبل إشبــاع رغباتــه، وهذا ما لا ينسجم مــع أسلوب الحياة الاجتماعيّــة، ولأنّ من الناس مــن لا يرتــدي ثوب الفضيلة ولا يتحلّــى بالأخلاق والملكات الإنسانيّــة، ومن لا يتقيّد بالضوابــط والقوانيــن؛ لــذا، فإنّــه من الصعوبــة بمــكان تجنّب الصــدام، وظهور النزاعات والخلافات.

من هنا كان لا بدّ من وجود قواعد وقوانين في المجتمع، تضطّر جميع أفراده إلى تنظيم أعمالهــم وسلوكيّاتهم على أساسها، وبناء حياتهم الجماعية على أساس تلك القوانين. كما، وإنّ الحياة الاجتماعية، وإن كانت بحاجة إلى القانون، ولكنّها بحاجة أيضاً إلى الأخلاق أكثر؛ لأنّ الأخلاق تعطي الحياة طابعاً إنسانيّاً، وترفع من مستوى العلاقــات الاجتماعيّة، وتساعد الإنسان علــى اقتحام العقبات، وتجعله حريصاً على حقوق الآخرين ورعاية مصالحهم.

ولأن الطفــل ســوف يخــرج مــن رحم هــذا المجتمع وينمــو فيه في ظــلّ ارتباطه بالآخرين، ولأنّها أفضل مرحلة عمرية للتعلّم والتعليم وأنسبها؛ لذا، كان من الضروري العمل على تنشئة الأبناء منذ سنيّ طفولتهم الأولى وتربيتهم تربية اجتماعيّة سليمة؛ أسسهــا التحلّــي بالانضباط والأخلاق الفاضلــة، حتى يأنسوا بهــا، ويتجنّبوا التحلّل منهــا في المستقبل. وفي ما يلــي سوف نذكر بعض هذه الآداب والقواعد الاجتماعيّة التي ينبغي أن تحكم علاقة الأبناء مع محيطهم:

2 -التربية على الوقوف بوجه الظلم والظالمين:

مــن أهمّ المبــادئ التربويّة التي ينبغي تنشئة الأبنــاء عليها وغرسها في نفوسهم منذ نعومــة أظافرهم؛ هو: الحسّاسيّة المفرطة من الظلــم والظالمين. فالإسلام لا

يرتضي أن يقف المسلم مكتوف الأيدي تجاه الحوادث الواقعة من حوله، بل يأمر الإسلام أتباعه بالتفاعل مع الأحداث والظروف المحيطة به وعدم تجاهلها. وتمثّل قضية الظلم واحدة من أهمّ هذه المسائل التي لا يرتضي الإسلام بإسقاطها أو التغافل عنها على الإطلاق؛ لما لها من تأثير عميق على المجتمع، وصناعة الأفراد فيه بشكل قويّ وكبير.

لذا، ينبغي أن يكون للمسلم موقفاً حاسماً وقوّياً من الظلم، فهو على الدوام خصيم الظالم ونصير المظلوم؛ كما قال الإمام علي عليه السلام في وصيّته لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: «**كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً**»[1]. وهذا هو المبدأ الأساسي الذي ينبغي أن يشبّ عليه أبناؤنا منذ الصغر، فتكون علاقتهم بالظلم منذ البداية قائمة على أساس العداوة والبغضاء؛ انطلاقاً من قول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3]. من هنا، فإنّ الحرص الحقيقي على الأبناء يبدأ من خلال إشعار قلوبهم الرفض للظلم والظالمين، وإنّ المحبّة الحقيقية لهم تتجلّى انطلاقاً من تنشئتهم وتربيتهم على هذا المبدأ الاجتماعي الهامّ جدّاً؛ لكي يعرفوا عواقبه ومخاطره من جهة؛ فلا يقعوا في الظلم أبداً. ومن جهة أخرى، ليأخذوا منه موقفاً حاسماً منذ بداية الطريق حتى لو تتطلّب الأمر منه بذل روحه وحياته والشهادة من أجل إقامة الحقّ. قال الله تعالى واصفاً حال الظالم وعاقبته: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾[4]. ولا يخفى على أحد أنّ تربية الأبناء على هذا المبدأ التربويّ لها آثار لا تطال فقط الجنبة الشخصيّة لهم، بل يمتدّ تأثيرها الإيجابية إلى المجتمع ككلّ أيضاً.

(1) نهج البلاغة، الخطبة 47.
(2) الأنعام، 21.
(3) هود، 113.
(4) الفرقان، 27.

3 - التربية على الإحسان إلى الوالدين:

لقد عُدّ مقام الوالدين في الثقافة الإسلاميّة بعد مقام الله عزّ وجلّ، وجاءت الوصية بهما بعد الوصية بعبادة الله، وعدم الشرك به. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]. وقد تكرّرت هذه الوصية في آيات أخرى[2].

ويكفي في بيان أهمّيّة مقام الوالدين ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**النظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادةٌ**»[3]. وهذا راجع إلى الجهد الذي يبذله الوالدان في تربية الطفل، والمشقّة التي يتحمّلانها من أجله، دون أن يكون لهما طمع بشيء يبذله الطفل لهما، وعلى الخصوص الأمّ التي قال الله تعالى بشأنها في كتابه الكريم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[4].

فالتنشئة التي ينبغي أن يتربّى عليها الطفل ويتعلّمها منذ الصغر في كيفيّة معاشرة الوالدين، ينبغي أن تكون هي نفسها تلك التي وصّى بها الإسلام الملتزمين بتعاليمه وأحكامه في آيات القرآن والأحاديث الشريفة، حيث أمر باحترام الوالدين والتواضع لهما: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[5]، وبرّهما، وبذل المعروف لهما على الدوام: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[6]، حتى قال الله تعالى مبيّناً عظمة النبي يحيى عليه السلام وتقواه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[7].

ومن جملة المسائل التي ينبغي أن ينشأ عليها الطفل والواجبات التي ينبغي أن يتعلّمها ممّا لها جنبة أخلاقيّة وحقوقيّة؛ هي: شكر الوالدين والدعاء لهما؛ لأنّه من

(1) البقرة، 83.
(2) النساء، 36. الأنعام، 151. وبعبارة أخرى: الإسراء، 24.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج6، ص205.
(4) الأحقاف، 15.
(5) الإسراء، 24.
(6) لقمان، 15.
(7) مريم، 14.

لم يشكر الوالدين لم يشكر الله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]. لذا، فإنّ تعليم الأولاد شكر الوالدين والدعاء لهما منذ الصغر يفتح الباب أمامهما لشكر الباري عزّ وجلّ أيضاً على نعمه التي لا تحصى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2].

4 - التربية على الصلة الإيجابية بالأقارب والأرحام:

في نهاية المطاف لن يبقى الطفل قابعاً في أسرته، محاطاً بأفراد عائلته، بل من المتوقّع أن يخرج من هذا المحيط العائلي الصغير إلى محيط عائلي أكبر وأكثر سعة منه، وهو المكان الثاني الذي من المفترض أن يكون الطفل على تماسّ معه بعد عائلته، نتكلم هنا عن الأقارب والأرحام بطبيعة الحال.

وينبغي للعلاقة مع الأهل أن تكون محكومة بالضوابط والقيم التربوية الدينية، لتكون هذه العلاقة باباً ينتفع منه الأبناء في بناء شخصيّة متوازنة؛ إيمانيّاً، وسلوكيّاً، واجتماعيّاً. وكذلك ينبغي أن يكون الحال مع العائلة الأوسع نطاقاً، وربما تأثيراً في بعض الأحيان. فليس صحيحاً أن تبقى العلاقة الحاكمة مع الأقارب والأرحام متفلّتة من القيود والضوابط الدينيّة والتربويّة لما لهذه العائلة الكبيرة من تأثير جدّي كبير على نشأة الأبناء وتكاملهم.

ومن وجهة نظر الإسلام: الروابط العائلية تجاه القرابات والأرحام لا يمكن اجتنابها أو تجاهلها. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3]. وممّا وصى به الرسول الأكرم ﷺ في الأرحام أنّه قال: «**أوصي الشاهد من أمتّي، والغائب منهم ومن أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن تصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة؛ فإنّ ذلك من الدين**»[4]. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الرحم معلّقة يوم القيامة**

(1) لقمان، 14.

(2) الإسراء، 24.

(3) النساء، 1.

(4) الكليني، أصول الكافي، ج2، ص121.

بالعرش تقول: اللهمّ صل من وصلني، واقطع من قطعني»[1].

مـن هنا، فالوظيفة الأساسيـة للأهل تكمن في أن يعـزّزوا ثقافة صلة الرحم في نفوس الأبناء لما لها من آثـار مباشرة على الصعيد الاجتماعـيّ والفرديّ معاً. فإنّ الروابـط العائلية تثقل شخصيّة الأبناء وتمدّهـم بالخبرة والتجربة اللازمة لهم في هـذه الحياة؛ ليتمكّنوا لاحقاً مـن إكمال مسيرة حياتهم بثبات وثقـة عالية. كما أنّها تضـع الأبناء أمام تحدّيات جديدة في حياتهم؛ تدفعهم للخروج منها ظافرين طيبّي النفس. فعن الإمـام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**صلة الأرحام تحسّن الخلق، وتسمح الكف، وتطيّب النفس، وتزيد من الرزق، وتنسئ في الأجل**»[2].

أمّـا الأضرار الناجمـة عن قطيعة الرحم فهي كبيرة وخطيرة جـدّاً، نذكر منها ما ورد فـي كتاب الله العزيـز، حيث اعتبرها القرآن بمنزلـة الفساد في الأرض: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[3]. لـذا ينبغـي الحذر كلّ الحـذر من أن يكون أبناءنا هم الشرارة الأولى لهـذا الفساد والإفساد في الأرض؛ من حيث نعلم أو لا نعلم. ويجب السعي الحثيث لغرس هذه الثقافة في نفوسهم منذ الصغر قبل أن يكبروا ويصبح الوالدان أنفسهم عرضة لمخاطر من قطيعة أبنائهم لهم!!

5 - التربية على العلاقة الطيّبة مع الجيران:

إنّ مسألـة الجـار ورعاية حاله وحقوقـه ووضعه؛ من المسائـل المهمّة المبحوثة فـي نظام الحياة الأخلاقيّـة والمعاشرة في الإسلام. وهنـاك روايات كثيرة في هذا المجال بيّنت أهمّيّته وموقعيّته في الحياة الاجتماعيّة.

قـال الله تعالى في كتابه العزيـز: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ

(1) الكليني، أصول الكافي، ج2، ص12.
(2) الكليني، أصول الكافي، ج2، ص126.
(3) محمد، 22.

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[1]. وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**ما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه**»[2].

وبما أنّ الأبناء هم في نهاية المطاف على تماسّ وصلة مع الجيران من حولهم. لذا ينبغي السعي إلى تعليمهم آداب حسن الجوار وغرسها في نفوسهم منذ الصغر، وهذا لهو دور مهم جداً في تأسيس علاقات وروابط اجتماعيّة إيجابيّة وفعّالة في المستقبل عندما يخرجون إلى محيط ودائرة أوسع من دائرة جيران المحلّة والسكن. ومن أهمّ هذه الآداب التي حدّدها الإسلام تجاه الجار، والتي ينبغي أن ينشأ أبناؤنا عليها بطبيعة الحال؛ كونهم مكوّن وجزء أساسي من هذا المجتمع:

أ- أن يحسِّن الأبناء أخلاقهم تجاه الجيران. فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**يا عليّ أَحسِنْ خُلُقَكَ مع أهلك، وجيرانك، ومن تعاشر وتصاحب من الناس؛ تُكتبَ عند الله في الدّرجات العلى**»[3].

ب- أن يُحسن الأبناء معاشرة جيرانهم. عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**عليكم بحسن الجوار؛ فإنّ الله عزّ وجلّ أمر بذلك**»[4].

ج- العمل على مواسات الجيران وقضاء حوائجهم وتقديم المساعدة لهم عند الحاجة والضرورة. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع**»[5].

د- عدم أذيّتهم أو إزعاجهم أو التسبّب بالضرر لهم. روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيّع حقّ جاره فليس منّا**»[6]. وعنه ﷺ أنّه قال: «**لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه**»[7].

---

(1) النساء، 36.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج9، ص52.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص68.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ، ج66، ص370.

(5) وسائل الشيعة، ج12، ص130.

(6) وسائل الشيعة ، ج12، ص127.

(7) أصول الكافي، ج2، ص666.

6 - التربية على التعامل الإيجابي مع المؤمنين:

عـن الإمام الصـادق عليه السلام أنّه قال: «**المؤمن أخو المؤمـن؛ كالجسد الواحد؛ إن اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة**»[1].

يقـوم بناء الحياة الاجتماعيّة في الإسلام علـى الأُلفة والوحدة والشعور بالطرف الآخـر. فالمؤمنون في الإسلام إخوة لا يفرّق بينهم لون، ولا عرق، ولا مكان، ولا لغة. فعلاقـة المؤمنيـن بعضهم البعضـ الآخر من وجهـة نظر الإسلام هـي علاقة حيّة هدفها إيجاد بناء محكم من الاتّحاد والأخوّة بين الناس. وهذه من المبادئ التربوية الأساسيّة التي ينبغي أن يُنشأ عليها الأبناء؛ لأنّها تؤسّس وترسم مسار علاقاتهم في المستقبل مع الآخرين على مستوى الكيف والنوع. ولأنهم نواة هذا المجتمع التي منها سـوف تنبثق الأجيال والمجتمعات اللاحقة لترسم معالمها الفكرية والسلوكية، فكان من الواجب الاهتمـام الشديد بالأصول والمبادئ التي ينبغي أن تحكم علاقة الأبناء بالناسـ من حولهم وبالخصوصـ المؤمنين منهم. هذه المبادئ التي ورد ذكرها في روايـات أهل بيت العصمـة والطهارة عليهم السلام بشكل مفصّـل ودقيق نحاول أن نذكـر بعضها لتكون منطلقـاً صحيحاً لبناء ثقافة سليمة فـي كيفية تعامل الأبناء مع غيرهم من الناس. ومن هذه التعاليم التربوية على سبيل المثال:

أ- أن يحـبّ الأبناء لغيرهم ما يحبّون لأنفسهم: سـأل الإمام الصادق عليه السلام ما حقّ المسلم على المسلم؟ فقال عليه السلام: «**له سبع حقوق واجبات -إلى أن قال- أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك...**»[2].

ب- أن يسعـوا في قضاء حوائج المؤمنين: عـن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة**»[3].

---

(1) أصول الكافي، ج2، ص 166.

(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص205.

(3) أصول الكافي، ج2، ص157.

ج- الإقبال على الناس بوجه طلق: روي عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر**»[1]. وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة**»[2].

د- التربية على روحية إفشاء السلام بين الناس: عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابّوا أولا أدلّكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم أفشوا السّلام بينكم**»[3].

هـ - حسن القول، لأن معاشرة المؤمنين تقوم على هذا الأساس: قال اللّه تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]. وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في قول اللّه عزّ وجلّ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[5] قال: «**قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال فيكم**»[6].

ومن المسائل السلبيّة التي ينبغي أن يحرص عليها الأهل شديد الحرص على أن لا تكون ثقافة الأبناء مبنيّة على إهانة المؤمنين، أو أذيّتهم، أو السخرية والاستهزاء بالآخرين؛ لما لها من مضاعفات سلبيّة جدّاً على التربية الاجتماعيّة السليمة والصحيحة للأبناء.

7 - التربية على وجوب مراعاة النظام العامّ:

لا يمكن لأي إنسان أن تعيش حياة اجتماعيّة صحيحة من دون قوانين وأنظمة وضوابط تحكم علاقاته مع الآخرين، لذا أكّد الإسلام كثيراً على ضرورة التقيّد بالأنظمة والقوانين؛ لما لها من دور كبير جدّاً في انتظام الحياة الإنسانيّة، والوصول بالتالي إلى الأهداف الاجتماعيّة السامية.

(1) أصول الكافي، ج2، ص84.
(2) م. ن، ص150.
(3) النوري، مستدرك الوسائل، ج8، ص362.
(4) الإسراء، 53.
(5) البقرة، 83.
(6) أصول الكافي، ج2، ص165.

لـذا، نلاحـظ أنه من جملـة الأمور التي وصّى بهـا أمير المؤمنيـن عليّ بن أبي طالـب عليه السلام فـي اللحظات الأخيرة مـن حياته حين جمع إليـه الحسن والحسين وبقيّـة أولاده وأهله عليهم السـلام، أن قال لهم : «**أُوصيكما وجميـع وُلدي وأهلي ومـن بلغه كتابـي، أُوصيكما بتقـوى الله، ونظم أمركم، وصـلاح ذات بينكم، فإنّي سمعـت جدّكـم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صلاح ذات البيـن أفضل من عامّة الصلاة والصيام**»[1].

وعلى الوالدين فـي المنزل قبل غيرهما أن يخضعا للنَّظْم والانضباط؛ كي يُذْعِن الأولاد من دون شكّ أو تردّد لهذه الأنظمة، لكن هذا لا يعني إلغاء التعاليم المباشرة، فالولـد في الكثير من الموارد يحتاج إلـى الهداية والتعليم. كما ينبغي للأب والأمّ أن يهديا ولدهما بلين ويسر.

ولكـي، يعتاد الأولاد علـى رعاية النظام فـي شؤونهم الحياتيّة داخـل البيت، من المهمّ الالتفات إلى الأمور التالية:

- ينبغي أن يكون لكلّ شيء في المنزل مكانه المناسب، وعلى كلّ شخص إذا تناول شيئاً، أن يقوم بإرجاعه إلى مكانه المخصّص له.
- ينبغي على أفراد العائلة قدر الإمكان أن ينجزوا أعمالهم الشخصيّة بمفردهم، فعلى سبيل المثال، عليهم أن يرتبوا أَسِرَّتَهم بأنفسهم، وبعد الانتهاء من إنجاز تكاليفهم المدرسيّة، أن يقوموا بجمع أدواتهم ويضعونها في أمكنتها، وأن يهتموا بأغراضهم شخصيّاً.
- ينبغي أن يكون وقت النوم والاستراحة محدّداً، فيمنع النوم في أيّ ساعة يشاؤون، وأن لا تكون ساعات النوم طويلة؛ لأنّها تجعل من الأطفال أفراداً كسولين وخاملين.

(1) نهج البلاغة، الخطبة47.

- عدم الإفراط في مشاهدة التلفاز واللهو والتنزّه؛ بما يحول دون أداء الأعمال الأساسيّة والدراسيّة.
- ينبغي عند دخول المنزل خلع الزيّ المخصّص للخارج وارتداء اللباس الخاصّ بالمنزل.
- ينبغي أثناء تناول الطعام، أن يجتمع كافّة أفراد العائلة على المائدة لتناول الطعام سويّاً.

ومن الآداب الأخرى التي ينبغي أن يتعلّمها الأبناء: الاقتصاد، واجتناب الإسراف، وعدم الإنفاق بلا رويّة. فعادةً لا يوجد أيّ إنسانٍ عاقلٍ يُشعل النار بأمواله أو يُفسد ماله، ولكن يتمّ إفساد مبالغ ضخمة عن طريق الإسراف وعدم الاكتراث بالمصروف، في كلّ يوم وكلّ ساعة!

لذا ينبغي من أجل تعليم الأولاد الاقتصاد مراعاة المسائل التالية:

- لا ينبغي إنارة أيٍّ مصباح من دون حاجة له.
- عدم استخدام الهاتف بشكل غير ضروريّ؛ لأنه هدرٌ للمال والوقت.
- عدم استهلاك الماء أكثر من الحدّ اللازم عند غسل اليدين والوجه أو الاستحمام. على سبيل المثال عندما يغسل الشخص يديه بالماء والصابون أو يتوضّأ لا يترك حنفيّة الماء مفتوحةً على الدوام.
- عدم الإسراف أثناء عمليّة ريّ الحدائق والبساتين، خاصّة في الأماكن التي يشحّ فيها الماء.
- عدم الإسراف في المواد الغذائيّة، والاجتناب بشدّة عن إفساد الخبز والطعام لأنه جحود بالنعمة ويستلزم العقوبة. وما زاد من الطعام يوزَّع إن كان لائقاً، أو يُجعل طعاماً للطيور وغيرهم مع الإمكان.
- أن يأخذ كلّ شخص مقدار حاجته من الطعام حتى يمكنه تناوله بنحو كامل.

- أن يعتني كلّ فرد بأغراضه الشخصيّة؛ حتى يمكنه الاستفادة منها لأقصى حدّ، فمثلاً: لا يرتدي اللباس المخصّص للخارج في البيت.
- أن يقتصد الأولاد في استهلاك أدواتهم القرطاسيّة، وأن لا توضع هذه الأدوات بين أيديهم دون رقابة. على سبيل المثال: الحرص على عدم رمي الدفتر الذي لم يتمّ استخدامه بنحو كامل بل العمل على الاستفادة من أوراقه الخالية مسودَّةً لحلّ التمارين.

ومن الآداب العمليّة في الحياة، بحيث تعتبر مهمّة جدّاً في الإسلام؛ الحفاظ على النظافة والصحّة. فلا بدّ للوالدين أن يكونا بالدرجة الأولى بأنفسهما أسوة حسنة في مجال الحفاظ على النظافة والصحّة، وأن يرغّبا أبناءهما بالنظافة، ويعلماهما آداب الطهارة الإسلاميّة على قاعدة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]، بل وينبغي التشدّد ـ أحياناً ـ في هذا الجانب قليلاً؛ لما لدى الأبناء من نزعة نحو التفلّت من القيود؛ حتى تلك المتعلّقة بالنظافة وسلامة البيئة المحيطة.

(1) المدثّر، 4.

12

الواجبات التربوية تجاه الأبناء

مفاهيم محورية:

- إلتزام الوالديم بالأوامر الدينية.
- حسن اختيار المعلمين والمربين.
- المساعدة في اختيار الأصدقاء.
- التوجيه نحو القدوة الصحيحة
- تعليم المعارف والآداب الدينيّة.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الوعظ والإرشاد.
- التقدير والاحترام لشخصيّة الأبناء.
- كيف ننمّي الشخصية؟

تصدير الموضوع:

عـن الإمام الصـادق عليه السلام قال: «**لا يـزال المؤمن يـورث أهل بيته العلـم والأدب الصالح حتى يدخلهم الجنّة [جميعاً] حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا خادمـاً ولا جـاراً، ولا يزال العبد العاصي يُورث أهل بيته الأدب السيّىء حتى يدخلهم النار جميعاً، حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا خادماً ولا جاراً**».[1]

مقدمة:

يتأثّـر الأبنـاء- عادة - بوالديهم أكثـر من الآخرين، فيتقبّلـون دينهم ومذهبهم وأخلاقهم وتوجّهاتهم. والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بيّن هذا الدور الواسع والنافذ لهذا التأثّر حيث قال: «**إنّ كلّ مولود يُولَد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه**»[2].

فالوالـدان لهما دورٌ أساس في توجيه أبنائهم نحـو المسائل الدينيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّـة، بـل هما القـدوة بأعمالهمـا وسلوكيّاتهمـا؛ لأنّ الأطفـال لديهم عيون حسّاسة وثاقبة ـ مثل آلة تصوير ـ دقيقة تلتقط وتسجّل كافّة حركات وسكنات الوالدين ومشاهد الحياة العائليّة.

---

(1) مستدرك الوسائل، ج12 ،ص201.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج3، ص281.

من هنا، يصبح من الضروريّ مراعاة الوظائف والواجبات التربوية عند تسنّم الوالدين مقام القدوة والأنموذج بهدف تربية أبنائهما تربية دينيّة، وهذه الوظائف هي على النحو التالي:

1 - التزام الوالدين بالأوامر الدينيّة:

الطِّفل عادةً ما يتعلَّم المحادثة، آداب العشرة، مراعاة النظام أو الفوضى، الأمانة أو الخيانة، الصدق أو الكذب، الخير أو الشر والآداب والسنن الدينيّة من محيط عائلته. وعندما يولي الأب والأمّ أهمّيّة خاصّة للأوامر الدينيّة، ويكونان من أهل العبادة، والصلاة، والدعاء، وتلاوة القرآن، ويهتمّان بعالم المعنويّات، ويراعيان الموازين الأخلاقية؛ فإنّهما بلا شكٍّ سيتركان أثراً بالغاً في الأبعاد الروحية والدينيّة عند الولد. ولهذا السبب، عندما يشاهد طفل الثلاث أو الأربع سنوات والديه يصليان، فإنّه سوف يرغب في الصلاة، فيركع ويسجد مثلهما، ويتعلّم منهما الكثير من الآداب الإسلامية والدينية الأخرى.

وفي هذا الصدد يؤكِّد الإمام الصادق عليه السلام على حقيقة أثر الأب في توجيه أسرته: «**لا يزال المؤمن يورث أهل بيته العلم والأدب الصالح حتى يدخلهم الجنّة [جميعاً] حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا خادماً ولا جاراً، ولا يزال العبد العاصي يُورث أهل بيته الأدب السيّء حتى يدخلهم النار جميعاً، حتى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً، ولا خادماً ولا جاراً**»[1].

كما أنّ مرافقة الأطفال أمّهاتهم وآبائهم إلى المساجد والحسينيّات، ومشاركتهم في مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه مثلما يبكي عليه والداه، يعبّر عن التأثير العمليّ للوالدين على السلوك الدينيّ للأبناء.

وللأمّ الدور الأكبر من بين أفراد الأسرة في تربية الولد، فهي أوّل شخص له علاقة مباشرة مع الطِّفل؛ تؤمّن احتياجاته، وتلبّي طلباته. ومن هنا، فإنّ الطِّفل

(1) النوري، مستدرك الوسائل، ج12، ص201.

يتأثّر أكثر بإحساسات الأمّ وعواطفها وأفكارها. وعلى هذا الأساس، تعدّ وظيفة الأمّ تجاه التربية الدينية للطفل أثقل.

2 - حسن اختيار المعلّمين والمربّين:

ينبغي للأهل أن يراعوا الدّقّة في انتخاب المدرسة والمعلّمين والمربّين لأولادهم، وأن يكونوا على علاقة متينة ولصيقة مع المدرسة والمعلّمين والمربّين أثناء تواجد أولادهم في المدرسة. بالإضافة إلى التنسيق مع الهيئة التعليمية والتربوية بشكلٍ تامّ في إيصال المفاهيم الإسلاميّة والتربية الدينيّة، لأولادهم. والسعي إلى إزالة أيّ تعارض وتضاد بين المدرسة والبيت؛ لناحية التربية الدينية.

3 - المساعدة في اختيار الاصدقاء:

إنّ الأصدقاء والرفاق هم قدوةٌ سلوكيّة وتربويّة لأبنائنا. إذ يرغب الفتيان والفتيات بنحو طبيعيّ في إقامة علاقات صداقة، ويحبّون أن يتّخذوا من هم في سنّهم أصدقاء لهم، وأن يعمّقوا أواصر الصداقة معهم، ولكن لبراءتهم، ولغلبة انفعالاتهم؛ وعدم الالتفات إلى مصالحهم؛ فإنّه من الممكن أن تشتبه عليهم الأمور في انتخاب الأصدقاء، فينتقون أفراداً غير مناسبين لمعاشرتهم. من هنا، تكمن وظيفة الوالدين في أنْ يساعداهم، وأن يوضّحا لهم خطر رفقاء السوء، والأضرار الناجمة عن مصادقتهم، وأن يحذّراهم بأسلوب منطقيّ واستدلالي ومحبٍّ من معاشرة الأفراد غير الصالحين والإفراط في الصداقة.

وقد ورد العديد من الروايات التي تحثّ على اختيار الصديق الجيّد، وترك أصدقاء السوء. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**انظر إلى كلّ من لا يفيدك منفعة في دينك؛ فلا تعتدنّ به، ولا ترغبن في صحبته؛ فانّ كلّ ما سوى الله تبارك وتعالى مضمحل وخيم عاقبته**»[1]؛ ليؤكّد أنّ الصحبة الحقيقية هي الصحبة التي تتّجه نحو الله تعالى.

(1) بحار الانوار،ج71، ص191.

وممّـا لا شكّ فيه أنّ تـردّد الوالدين في زيارة العوائل المتديّنة الملتزمة بالأحكام الشرعيّـة، واصطحـاب الأولاد إلى المساجد والمحافـل ذات الطابع الدينيّ، وأمثال ذلك، يساعد بنحو غير مباشر على أن يجد الأولاد أصدقاء مناسبين لهم.

4 - التوجيه نحو القدوة الصحيحة:

مـن أهـمّ أساليب التربيـة الدينيّة الصحيحـة؛ أسلوب تحديد القـدوة والتوجيه نحوهـا؛ وهو يتمتّع بالنفوذ والتأثير الكبيـر؛ لكونه تطبيقيّ وعمليّ. ولقد ذكر القرآن الكريـم الرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم والنبي إبراهيـم عليه السلام على أنّهما أسـوة حسنة، ودعا العالميـن ليتّخذونهما قـدوة وأسوة. كما تمّ تناول القدوة فـي عدد من الآيات ضمن عناوين كلّيّـة، من قبيل: المؤمنون، المتّقون، الصادقـون، المحسنون، أولو الألباب، أولـو الأبصار وعبـاد الرحمـان. وأحياناً تمّ الحديـث عن بعض النمـاذج الإنسانية وتحديد معايير القدوة في قالب قصصيّ يتناول سيرة حياتهم.

روي عـن الإمـام الصادق عليه السلام أنّـه قال: « **كونـوا دعـاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاة بألسنتكم**» [1].

وأساس تشكّل شخصيّة الطِّفل يكون في مرحلة السَّنوات السبع الأولى من حياته. والتقليد والاقتداء هما بنيان التعلّم في هذه المرحلة. فالوالدان، الأقارب، الأصدقاء، والرفاق، والمعلّمون، والمربّون؛ هم نماذج وشخصيّات مؤثّرة في تربية الأبناء دينيّاً، لكن يبقى دور الأب والأمّ أهمّ أكبر.

لـذا يمكـن للأهـل؛ بالاستفادة مـن مبدأ القـدوة أن يوجّهـوا أبناءهم باتّجاه القدوة والأسـوة الحسنة، على سبيل المثال: يستطيع الأهل أن يشجّعوا أولادهم على المطالعات الدينيـة والسيرة الذاتيّة لعلماء الدِّين، ويُحضِـرُون لهم الكتب المفيدة، والقصصـ الجميلـة والجديـرة بالقراءة. كما يمكـن الحثّ على مشاهـدة البرامج

(1) بحار الانوار ، ج5، ص198.

التلفزيونيّة المفيدة، والأفلام التعليميّة، مع إيجاد مساحة رحبة لانتقاد البرامج غير المفيدة والأفلام غير المناسبة.

5 - تعليم المعارف والآداب الدينيّة:

على الأب والأمّ أن يعلّما أولادهما المعارف والآداب والسنن الدينيّة. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**حقّ الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره أمّه**[1]، **ويستحسن اسمه، ويعلّمه كتاب الله ويطهّره...**»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «**علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به؛ لا تغلب عليهم المرجئة برأيها**»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليه المرجئة**»[4].

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بشأن تعليم الأولاد الصلاة: «**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً...**»[5].

يظهر من هذه الروايات وأمثالها أنّ وظيفة الوالدين أن يعرّفا أولادهما على الله، وعلى التكاليف الدينية، والأخلاق والسلوكيّات الدينيّة، وآداب العشرة، وأمثال ذلك.

ويجدر بالوالدين أن يأخذا جيّداً بعين الاعتبار المسائل التالية عند تعليم أولادهما معارف الدين وأحكامه:

- أن يسعيا لزيادة مطالعاتهما الدينيّة وعلومهما في هذا المجال، وأن يعلّما أبناءهما معارف الدين؛ انطلاقاً من معرفتهما الوافية بالدين، وأن يجتنبا

(1) يستفره، من الأفراس أي يستكرمها.
(2) وسائل الشيعة، ج21، ص 481.
(3) وسائل الشيعة، ج15، ص 197.
(4) وسائل الشيعة، ج12، ص247.
(5) مستدرك الوسائل، ج 3، ص19.

إلقاء تعاليم خاطئة تنمّ عن جهلٍ في محيط الأسرة؛ لأنّها كثيراً ما تؤدّي إلى استنتاجاتٍ غير صحيحة، وانحرافاتٍ فكريّة عند الأبناء.

- أن يسعيا للإجابة على أسئلة أبنائهما الدينية؛ بصبرٍ، وسعة صدر، وبنحو منطقي يتناسب مع إدراكهم وفهمهم.
- أن يراعيا أثناء تعليم أبنائهما المفاهيم الدينيّة مسألة الاختلاف في شخصيّاتهم، وقابليّاتهم واستعدادتهم الذهنية، وميزان استيعابهم وفهمهم.

6 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1].

وجاء في الحديث أنه عندما نزلت هذه الآية، جلس رجلٌ من المسلمين يبكي، وقال أنا عجزت عن نفسي وكلّفت أهلي فقال رسول الله ﷺ: «**حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك**»[2].

وفي رواية أخرى سأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام: كيف نقي أهلنا؟ أجاب الإمام عليه السلام: «**قال تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عمّا نهاهم الله؛ فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك**»[3].

ويمدح القرآن الكريم نبي الله إسماعيل عليه السلام: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا»[4].

كما يروي الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه: «**إنّا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين**»[5].

---

(1) التحريم، 6.
(2) وسائل الشيعة، ج16، ص148.
(3) وسائل الشيعة، ج16، ص148.
(4) مريم، 55.
(5) وسائل الشيعة، ج4، ص19.

مـن البديهي أنّ أمـر الأولاد بالمعروف والنهي عن المنكر لـه خصوصيّاته، ومن الممكـن لأدنى اشتباه وتعاطٍ غير صحيـح أن يؤدّي إلى آثار مضرّة. لذا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المسائل التالية:

- ينبغي للوالدين أن يمزجا أمرهما ونهيهما بالمحبّة، والعطف، والأخلاق، والسلوك الحسن.
- ينبغي أن يعلم الوالدين أثناء التربية الدينيّة أنّ التعاليم الإلهيّة ليست من باب الإجبار والفرض، وإنّما هي من باب الاختيار والقبول. لذا عليهما أن يسعيا لتكون تعاليمهما الدينيّة وأوامرهما ونواهيهما مصحوبة بالترغيب والتشجيع والقول الحسن؛ لتكون مورد قبول.
- ينبغي للأب والأم أنّ ينسّقا في إعطائهما الأوامر لأبنائهما، حتى لا يحتار الأولاد، ولا تتزلزل اعتقاداتهم. على سبيل المثال: عندما يكون الأب مهتّماً بحجاب ابنته ويأمر بمراعاته، ينبغي للأمّ أن تشدّد عليه وتطلب من ابنتها مراعاته. وعندما يمنع الأب ابنه من فعل شيء، فلا تعمل الأمّ عكسه.
- ينبغي للوالدين كلّما أرادا من أبنائهما القيام بعملٍ ما، أن يكون ذلك العمل ذا قيمة بالنسبة إليهما وأن يعملا به أيضاً؛ ليكون قولهما مؤثّراً عند الأولاد.

7 - الوعظ والإرشاد:

على الوالدين أيضـاً، نصح الأولاد وإرشادهم؛ فالموعظة تجلي القلب، وتصفّيه، وتوفّـر الأرضيـة المناسبة لتقبّـل التعاليم الدينيّة عنـد الأبناء. فعلـى سبيل المثال يوصـي الإمـام علي عليه السلام، ابنـه الإمام الحسـن المجتبى عليه السلام فيقول لـه: «**وأحْيِ قلبك بالموعظة**»[1].

وينقـل القـرآن الكريم بعض وصايا لقمان لابنـه؛ وهو يعظه، فيقول له: ﴿ يَٰبُنَيَّ

(1) نهج البلاغة، الخطبة 31.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[1].

كما ينبغي للوالدين أن يأخذا بعين الاعتبار قدرة الأبناء، وأن يضعا نفسيهما مكانهم. يقول الرسول الأكرم ﷺ: « **من كان له صبي فليتصابَ له**»[2].

ولأجل أن تثمر مواعظُ الأهل ونصائحهم نتائجَ جيدةً، يلزم الإلتفات في الحدّ الأدنى إلى الشروط الثلاثة المهمّة التالية:

- ينبغي للوالدين أن يكونا أسوة كاملة؛ يعملان بما يوصيان به أولادهما؛ من نصح وإرشادات.
- يجب أن يلتفت الأهل إلى تهيئة أبنائهم نفسياً لقبول النصح.
- ينبغي أن تكون الموعظة بليغة ومؤثّرة، ومن شروط كونها بليغة أن تكون موزونة، وفي محلّها، ومتناسبة مع وضعيّة المستمع الفكريّة ومشاعره النفسيّة والروحيّة.

8 - التقدير والاحترام لشخصيّة الأبناء:

إنّ تقدير الأبناء واحترامهم ومعاشرتهم بإحسان ومراعاة شخصيّاتهم من المسائل المهمّة في العمليّة التربويّة؛ فالأبناء الذين ينعمون بقدرٍ كافٍ من الإكرام والاحترام في العائلة، يتمتّعون بروحيّة سليمة وطبيعية وتوازنٍ نفسيّ، ولديهم استعدادٌ أكبر لتقبّل التربية الدينيّة والأخلاقيّة.

وبالعكس، فإنَّ الأبناء الذين لم يلاقوا من أهلهم التكريم والاحترام والتقدير، يشعرون داخل أنفسهم بالحقارة والخسّة، ويتّصفون بروحيّةٍ انهزامية ونفسيّة كئيبة،

(1) لقمان، 17-19.

(2) وسائل الشيعة، ج15، ص203.

ويصعب أن يكونوا في المستقبل أشخاصاً فعّالين ومؤثّرين في المجتمع. وهذا الصنف من الأولاد عادةً يتَّسم بالخجل، وضعف الشخصية في سلوكيّاته الاجتماعية، وليس لديه عزمٌ وإرادة لتطبيق الأوامر الإلهيّة، وهو متهور وجريء في ارتكاب المعاصي والذنوب. عن الرسول الأكرم ﷺ أنه كان يأمر أتباعه فيقول: «**اكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم؛ يُغفر لكم**»[1].

إنَّ إظهار نوع من الاحترام للأبناء وتقدير شخصيّتهم يُعدّ من أهمّ العوامل لجلب المحبّة والطاعة؛ فالأبناء الذين يتلقّون الاحترام والتقدير ويتمّ التعامل معهم بأدب، يكون عصيانهم لأوامر والديهما أقلّ.

9 - كيف ننمّي الشخصية؟

هناك عدة من طرق تساهم في تنمية شخصيَّة الطِّفل وقدراته المعنوية، منها:

أ- إلقاء السلام والتحيّة:

من السُّنن الحسنة التي ثبّتها الرسول الأكرم ﷺ؛ إلقاء التحيّة والسلام على الأطفال، فقد كان بنفسه يسلِّم دائماً على الأولاد.

فمن الواجب إلقاء التحية على الأطفال؛ لأنّ ذلك يعوّد الأطفال على احترام الكبار، ويساعدهم على الانخراط في المجتمع بكلّ احترام وأدب. ينقل الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «**خمس لست بتاركهنّ حتى الممات... تسليمي على الصبيان؛ لتكون سنّةً من بعدي**»[2].

ب- التشاور:

إنّ التشاور مع الأبناء في الأمور العائلية وخاصّةً في مرحلة المراهقة يجعلهم يشعرون بأنّ لهم وزناً وقيمةً في العائلة وأنّه يُلتفت إلى آرائهم. لذا، على الوالدين

(1) وسائل الشيعة، ج15، ص 195.

(2) وسائل الشيعة، ج12، ص63.

أن يتقبّـلا اقتراحات الشباب الصحيحة، وأن يصححا اشتباههم بالدليل والمنطق. مـن دون أن يؤذيـا شخصيّاتهـم أو أن يولّدا لديهم إحساسـاً بالضعف. وفي حال لم يكن في اقتراحاتهم إشكالٌ أساسيّ، يمكن أن يغضّ الطرف عن إشكالاتهم الجزئيّة، وأن يستفاد من المشاركة في التفكير نفسها؛ إذ ينمّي هذا الأمر حسّ التعاون لديهم داخل العائلة.

ج- مشاركتهم في اللعب:

إنّ مشاركـة الكبـار في اللعب مـع الأطفال، يجعل روحهم مفعمـةً بالفرح، وينمّي حسّ الاستقلال والثقة في باطنهم. فعن جابر الأنصاري أنّه قال: «**دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسـن والحسيـن عليهما السلام على ظهره، وهو يجثو لهمـا، ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما**»[1].

هـ- الأخذ بعين الاعتبار شأنيّة الأولاد:

ينبغـي أن تُراعى شأنيّة الأولاد والشبـاب، وأن يُتَعَامل معهم بوصفهم أفراداً لهم استقلاليّتهـم، فيتمّ تهيئة مقاعد خاصّة لهم أثناء السفر، وعند الضيافة يُوضع لهم صحون وشوك وملاعق مستقلّة، وأثناء النوم يمدّ لهم فُرُش مستقلّة. وعندما يدخلون المجالس يفسح لهم المجال للجلوس في أمكنة خاصّة، وهكذا. فالأولاد يحاولون في كافّـة المجالات إبراز وجودهم، ويحبّون أن يلتفت إليهـم الكبار، وأن يتفاعلوا معهم بنحو مناسب.

(1) بحار الأنوار، ج43، ص285.

الفهرس

المقدمة 5

1. حرمة النفوس والأعراض 7

تصدير الموضوع 9

مقدمة 9

1 - **حرمة القتل وآثاره** 10

2 - **عقوبة قتل العمد العذاب الأبدي** 11

3 - **حرمة الأعراض والأموال** 12

4 - **حرمة إفشاء أسرار الآخرين** 13

أ- حفظ أسرار الآخرين 13

ب- حفظ أسرار النفس 14

ج- حفظ أسرار النظام والحكومة الإسلامية 15

2. الفتنة: أخطارها، الفردية والاجتماعية 17

تصدير الموضوع 19

1 - **معنى الفتنة** 19

2 - **الفتنة في القرآن الكريم** 20

3 – أهداف الفتنة 21
4 – الشيطان عمود الفتنة 22
5 – الأوجه العديدة للفتن 22
6 – ما هو واجبنا عند وقوع الفتن؟ 24
7 – الوقاية من الفتنة خير من علاجها 25

3. التعصّب والعناد وأثرهما على المجتمع 27
تصدير الموضوع 29
1 – مفهوم التعصّب ودوافعه 29
2 – حُبّ الذّات والتعلّق الشديد بالأسلاف 30
3 – ذم التعصّب والفرقة 30
4 – الآثار السلبيّة للتعصّب والعناد 31
5 – أسباب ومناشئ التعصّب والعناد 33
6 – العصبية الممدوحة 33
7 – طرق علاج العصبية 35

4. آفة سوء الظنّ وآثارها الاجتماعية 37
تصدير الموضوع 39
مقدّمة 39
1 – تعريف سوء الظن وحسن الظن 40
2 – سوء الظن في القرآن الكريم 41
3 – مراتب سوء الظن 43
4 – الآثار السلبيّة لسوء الظّن بالناس 44
5 – الآثار السلبية لسوء الظن بالله 46
6 – التخلّص من سوء الظن بحسن الظن 47

5. الوقاية من أمهات مفسدات المجتمع 49
تصدير الموضوع 51

1 - وقاية الأهل والنفس من النار 52
2 - ضعف العفّة وهيمنة الشهوات 53
أ- قيمة العفّة في الإسلام 53
ج- الحثّ على عفّة البطن والفرج 54
3 - الشائعات وأثرها في خراب المجتمع وإفساده 55
4 - انتشار السم القاتل الخمر والمخدرات 56
أ- تحريم الخمر في الإسلام 56
ب- تعاطي المخدّرات 57
ج- من الأضرار الاجتماعية للمخدّرات 58
د- الحكم الشرعي للمخدرات 58

6. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحصين المجتمع 61
تصدير الموضوع 63
مقدّمة 63
1 - المفاسد الشائعة في المجتمع وطرق معالجتها 63
أ- الأسباب 64
ب- أنواع المفاسد 64
ج- طرق المعالجة 64
2 - أهمّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبهما 65
3 - معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 66
4 - كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 66
5 - مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 67

7. الوحدة وأثرها في حفظ المجتمع وتماسكه 69
تصدير الموضوع 71
1 - أصالة الوحدة 71
2 - أصول الوحدة في الدين الإسلامي 72

3 - ما هي الوحدة المرجوّة؟ 73
4 - واجبات المجتمع الوحدوي 73
5 - ثقافة المداراة، لا التملّق والمداهنة 76
أ- التملّق والمداهنة والمداراة 76
ب - أهميّة المداراة في حياة الناس 77
ج- كيفية المداراة 78
الخاتمة 80

8. بالأمانة يسلم المجتمع وينجو أفراده 81
تصدير الموضوع 83
مقدمة 83
1 - الأمانة أصل في جميع الأديان 84
2 - الأمانة من أوصاف المؤمن الأساسية 84
3 - الأمانة في القرآن الكريم 85
4 - الأمانة والخيانة في السنة الشريفة 88
5 - آثار الأمانة الدنيوية والأخروية 88
6 - تلازم الأمانة والصدق 89
7 - طرق الوقاية والعلاج 90

9. قيمة التكافل الاجتماعي في الإسلام 91
تصدير الموضوع 93
مقدمة 93
1 - فلسفة التكافل الاجتماعي في الإسلام 94
2 - المسؤولية تكليف عام 95
3 - أنواع التكافل الاجتماعي 96
أ- التكافل الأدبي 96
ب- التكافل العلمي 96

ج- التكافل العبادي 97
د- التكافل المعيشي 97
4 - **الفئات التي تستحقّ التكافل** 98
أ- اليتيم 98
ب- أصحاب الإعاقات 99
ج- رعاية المنكوبين والمكروبين 99
5 - **التكافل مسؤولية المجتمع** 100

10. الواجبات والحقوق الاجتماعية 103
تصدير الموضوع 105
مقدمة 105
1 - **المسؤولية تكليف عام** 105
2 - **حقوق المجتمع في القرآن الكريم** 106
3 - **مبادئ الحقوق في المجتمع الإسلامي** 108
4 - **الواجبات والحقوق المتبادلة** 110
5 - **الآثار الإيجابية لمراعاة حقوق المجتمع** 111

11. التربية الاجتماعيّة للأبناء 113
تصدير الموضوع 115
مقدمة 115
1 - **أهمّيّة التربية الاجتماعيّة للأبناء** 116
2 -**التربية على الوقوف بوجه الظلم والظالمين** 116
3 - **التربية على الإحسان إلى الوالدين** 118
4 - **التربية على الصلة الإيجابية بالأقارب والأرحام** 119
5 - **التربية على العلاقة الطيّبة مع الجيران** 120
6 - **التربية على التعامل الإيجابي مع المؤمنين** 122
7 - **التربية على وجوب مراعاة النظام العامّ** 123

12. الواجبات التربوية تجاه الأبناء 127
تصدير الموضوع 129
مقدمة 129
1 – التزام الوالدين بالأوامر الدينيّة 130
2 – حسن اختيار المعلّمين والمربّين 131
3 – المساعدة في اختيار الاصدقاء 131
4 – التوجيه نحو القدوة الصحيحة 132
5 – تعليم المعارف والآداب الدينيّة 133
6 – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 134
7 – الوعظ والإرشاد 135
8 – التقدير والاحترام لشخصيّة الأبناء 136
9 – كيف ننمّي الشخصية؟ 137